ظواهر صوتيّة في كتاب (ما يحتمل الشّعر من الضرورة) للسيرافيّ

د. علاء الدين أحمد الغرايبة *

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٠٩/١/٤ تاريخ القبول: ٢٠٠٩/٧/١٠

ملخص

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل بعض الظواهر الصوتيّة الواردة في كتاب (ما يحتمل الشّعر من الضرورة) للسيرافيّ، وهو كتاب في الضرورات الشعريّة ألّفه صاحبه كي يكون هذا العمل جزءًا من شرحه لكتاب سيبويه (الكتاب)، إلا أنّ السيرافيّ قد ضمّنه بعض التفسيرات الصوتيّة لبعض تلك الضرورات من نحو: إشباع الصوائت القصيرة، وتقصير الطويلة، وظاهرة الإتباع بين الصوائت، وظاهرة كراهيّة توالي الأمثال، وظاهرة تسهيل الهمزة. كما أدخل في باب الضرورة الشعريّة ما ليس منها كتعرضه للغات العرب التي تبدل فيها بعض الأصوات بأخرى من غير ضرورة، فذكر منها: عنعنة تميم، وكشكشة بكر، وعجعجة قضاعة.

وعليه؛ فقد عمد البحث إلى استقصاء تلك الظواهر الصوتيّة وتصنيفها، ثمّ وصفها وتحليلها وفق علم النظم الصوتيّ. معتمدا في هذا على المنهج الوصفي التحليلي.

كلمات دالّة: ظواهر صوتيّة، (ما يحتمل الشّعر من الضرورة) السيرافيّ.

Abstract

Phonological phenomena in Al-Sayrafi's permissible poetic licences:
Ala' Al- deen Ahmed Mohammad Al-Gharaybah

The present research studies and analyzes some phonological phenomena in Al-Sayrafi's book.

But al-sayrafi has included some phonological explanations and interpretations of such licences, such as changing of the accusative marker al-fatha into nominative dhama, shortening the long vowels which are contrary to the above one, vocalic assimilation avoiding the sequence of identical sounds and mitigating the glottal hamza. He has also included in the poetic licences certain aspects which are not considered as such like certain Arabic dialects in which some sounds are unnecessarily substituted by others as in substituting hamza by sound ayn, sh sound by k, and the sound ya by j.

Hence, the researcher has investigated these phonological phenomena, classified, despaired and analyzed them in accordance with the the phonological systems, relying upon the descriptive analytical approach.

---

* قسم اللغة العربية، جامعة الزيتونة.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

مقدمة

هذا بحث يتناول بالدراسة والتحليل بعض الظواهر الصوتيّة الواردة في كتاب(ما يحتمل الشّعر من الضرورة) للسيرافيّ[(١)]، وهو كتاب في الضرورات الشعريّة ألّفه صاحبه كي يكون هذا العمل جزءًا من شرحه لكتاب سيبويه (الكتاب)[(٢)]، إلا أنّ السيرافيّ قد ضمّنه بعض التفسيرات الصوتيّة لبعض تلك الضرورات من نحو: إشباع الصوائت القصيرة وتقصير الطويلة، وظاهرة الإتباع بين الصوائت، وظاهرة كراهيّة توالي الأمثال، وظاهرة تسهيل الهمزة. كما أدخل في باب الضرورة الشعريّة ما ليس منها كتعرضه للغات العرب التي تبدل فيها بعض الأصوات بأخرى من غير ضرورة،فذكر منها:عنعنة تميم،وكشكشة بكر، وعجعجة قضاعة.

ولمّا كانت هذه الجهود لم تشغل فكر الباحثين وهي تحتاج إلى مَن ينهض بها، فقد جاء اختياري لهذا الموضوع محاولة لإظهارها،فشرعت أقرأ ما كتب السيرافيّ في كتابه (ما يحتمل الشّعر من الضرورة)؛ بغية استقصاء تلك الظواهر الصوتيّة وتصنيفها، ثمّ وصفها وتحليلها وفق علم النظم الصوتيّ، ولمّا كان لي ذلك؛ فإذا بي أمام جهود صوتية جادة، استوعب فيها المؤلف تلك الظواهر الصوتية التي ذكرتُ، وإن كانت تتوزع بين حقول اللغة الأخرى.

فالغاية من هذا البحث الكشف عن جهود السيرافيّ الصوتية، ومثل هذا الموضوع تحومُه المشقّات التي أولاها: اتساع دائرة التأليف في المجال اللغويّ قديمًا وحديثًا، مما جعلني أقف أمام قدر كبير من المصادر والمراجع التي أخذ نطاقها يتّسع لحظة بعد لحظة؛ فكان من الصعب الإلمام بكل ما أوردته كتب اللغة قديمًا وحديثًا حول هذه

---

(١) اسمه الحسن بن عبدالله بن المزربان، ويكنّى بأبي سعيد،ويُنسب إلى سيْراف إحدى المدن الفارسية التي ولِد فيها. وقد ورد بغداد وأقبل على حلقات العلم، حتى اشتهر أمره، وأقرّ العلماء بفضله، فجلس للتدريس، وكثر تلاميذه، فقيل بحقّه: كان عالما فاضلا معدوم النظير في علم النحو خاصّة، وفقيها على مذاهب العلماء العراقيين، وقد تولّى القضاء في العراق، زاهدا ليس من الذين يحبون الوجاهة والسلطان،لا نظير له في علم العربيّة. اشتغل بتعليم القرآن والقراءات والنحو واللغة والعروض والشّعر والكلام والحساب والهندسة، وغير ذلك من علوم عصره. قال بحقه تلميذه أبو حيان التوحيدي:" ما رأيت أحدا أحفظ لجوامع الزهد نظما ونثرا، وما ورد في الشيب والشباب من شيخنا أبي سعيد". وتذكر المصادر أنّ السيرافيّ قد صنّف مؤلفات عدة في العربية وعلومها، غير أنّ أغلبها قد ضاع ولم يصل إلينا منها إلا ما ذكره عنها كتّاب السير ممن ترجموا للسيرافيّ، ومنها: الإقناع في النحو، وأخبار النحويين البصريين ومراتبهم، شرح الجمهرة لابن دريد، وكتاب ألفات الوصل والقطع، وصنعة الشّعر والبلاغة، وشرح مقصورة ابن دريد، وكتاب شواهد كتاب سيبويه وكتاب المدخل إلى كتاب سيبويه،وشرح كتاب سيبويه؛ وهو أهم آثار السيرافيّ النحويّة. وقد توفي السيرافيّ سنة ٣٦٨هـ.

انظر ترجمته في كتب:(ياقوت، شهاب الدين أبي عبدالله (ت٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) **معجم الأدباء**، دار المستشرق، بيروت(د.ت)،١٤٥/٨. القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي(ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) **انباه الرواة على أنباه النحاة**،تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٥٠م،٣١٣/١. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،١٩٦٩م،٨٧/٢. أبي الفداء، الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت(د.ت)،١٤٥/١١ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير (ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م) **غاية النهاية في طبقات القرّاء**، تحقيق برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت،ط٣، ١٩٨٢م،ج٢١٨/١.. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر،ط١٩٧٩،٢م،٥٠٧/١.الحنبلي، ابن العماد، أبي الفلاح بن عبدالحيّ (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) **شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب**، دار الميسرة، بيروت ط٢، ١٩٧٩م، ٦٥/٣).

(٢) السيرافيّ (أبو سعيد الحسن بن عبدالله ٣٦٨هـ/٩٧٨م)،**ما يحتمل الشّعر من الضرورة**، تحقيق عوض القوزي، ط١، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٩م، مقدمة المحقق،ص٢٢.ومما تجدر الإشارة إليه أنّ رمضان عبدالتواب سبق له أن حقق الكتاب ونشرته دار النهضة العربية في بيروت،١٩٨٥م. كما قام عوض القوزي بنشر الكتاب ذاته مصورا عن هذه الطبعة في عامي:١٩٩١م، ١٩٩٣م. مع تنقيحات يسيرة.

المواضيع. وثانيتها: تأثر آراء السيرافيّ الصوتيّة في تلك المجالات؛إذ لم يحو هذه الظواهر عنوان مستقل، أو منهجيّة واضحة،ولهذا فقد قمت بجمع آرائه الصوتية من هنا وهناك،ثمّ عمدت إلى تصنيفها؛ ليسهل تناولها ودراستها.

أما كُتب التراث التي استفدت منها في هذا الجانب فهي كثيرة إلى حدّ يصعب عرضها هاهنا، بيد أنني أخصّ منها في هذا المقام تلك المصادر التي شكّلت لبنة أساسية من لبنات الدرس الصوتي العربي، مثل "الكتاب" لسيبويه، و"سرّ صناعة الإعراب" لابن جني، و"شرح شافية ابن الحاجب" لرضي الدين الأستراباذي. كما استفدت من المراجع الحديثة – تلك التي اهتمت بالجانب الفونولوجي من علم اللغة العام، إذ إليها احتكمت، وعلى ما ساقَتْه بَنَيْت آرائي، وبناء على ما قَدمّتهُ كشفت عن مدى صحة الآراء الصوتية التي أتى بها السيرافيّ، وتلك المراجع متعدّدة إلا أنها متّفقة في كثير من جوانبها، وأذكر منها على سبيل المثال: "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس، و"علم اللغة العام" (الأصوات) لكمال بشر، و"علم اللغة" لمحمود السعران.

أما منهجية البحث فتتمثل في المنهج الوصفي التحليلي؛ إذ عمدت إلى وصف تلك الظواهر الصوتية عند السيرافيّ، وعرضتها عرضًا يتناسب والمنهج المتبع؛ليسهل تناولها ودراستها وتحليلها، وهو منهج يفرض عقد موازنات بين آراء السيرافيّ الصوتية وغيره من علماء الدرس الصوتي القديم من جهة، وعقد مقابلات أخرى بين تلك الآراء وآراء علماء الدرس الصوتي الحديث من جهة أخرى؛ للوقوف على موقف السيرافيّ من تلك الآراء،ثمّ الحكم على مدى دقتها بمقتضى المفاهيم الصوتية الحديثة ما أمكن.

وقد جعلت البحث في: تمهيد. وخمسة مطالب هي: الإبدال وينضوي تحته (عنعنة تميم،وكشكشة بكر، وعجعجة قضاعة). وإشباع الصوائت القصيرة وتقصير الطويلة، والإتباع بين الصوائت، وكراهيّة توالي الأمثال، وظاهرة تسهيل الهمزة. وخاتمة.

(١)
الإبـــدال

الإبدال كما عرّفه ابن يعيش: "أن تقيم حرفًا مقام حرف إما ضرورة وإما صنعة واستحسانًا في بعض الكلمات مع بقاء الأصوات الأخرى"(١). وأمّا تعريفه لغةً فيقول ابن منظور: "تبدّل الشيء وتبدّل به واستبدله واستبدل به، كلّه: اتخذ منه بدلاً"(٢).وعليه؛ فإنّ ظاهرة الإبدال تشير إلى المتغيّرات الصوتية التي تحدث داخل البنى اللغويّة، من حيث إنّه يتمّ إقامة صوت ما مكان صوت آخر مُبدل منه في اللفظة الواحدة شريطة ثبات الأصوات الأخرى من اللفظة ذاتها.

---

(١) **ابن يعيش**، (موفق الدين يعيش بن علي، ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت،١٠/٧. وانظر الاستراباذي (رضي الدين محمد النحوي، ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م)، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق محمد محيي الدين وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢،٣/١٩٧. السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن، ت٩١١هـ/١٥٠٥م) **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار الفكر، (د.ت).٤٦٠/١، الثعالبي(أبو منصور عبدالملك، ت٤٢٩هـ)، **فقه اللغة وسرّ العربيّة**، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ٦٦.

(٢) ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين، ت٧١١هـ/١٣١١م) **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥، مادة (بدل).

لقد حظيت هذه الظاهرة بمعالجة القدماء فألفوا فيها كتبًا خاصة(١)، ومباحث محددة منبّهين إلى أن الإبدال المُتحدَّث عنه هو الإبدال الذي لا يحدث معه الإدغام(٢)، وأنّ الأصل فيه فيما تناسب وتقارب من الأصوات (٣)؛ولهذا لم يُجوّز بعض القدماء تسمية ظاهرة تناوب الأصوات في الألفاظ بالبدل حين قال: "فأما ما لم يتقارب مخرجاه ألبتة... فلا يسمى بدلاً، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حروف الحلق"(٤)، ويعقّب بعض المحدثين على هذا قائلاً: "إن اشتراط العلاقة بين الصوتين المبدلين أمر منطقي؛ إذ هي دليل على إمكان حدوث إبدال".(٥)

وعليه، فليس ثمة خلاف بين القدماء والمحدثين في تعريف الإبدال، من حيث هو إقامة صوت مكان صوت في كلمة شريطة التقارب الصوتي بينهما(٦)، فإبراهيم أنيس يرى أن الكلمات التي فسرّها علماء اللغة على أنها من الإبدال حينًا أو من تبدّل اللهجات حينًا آخر، إنما جاءت نتيجة التطور الصوتي، وإن الكلمة الشائعة في الاستعمال هي الأصل، والأخرى فرع لها أو تطور عنها، وهذا التطور مرهون بوجود علاقة صوتية بين الصوتين المبدل والمبدل عنه(٧)، ويقول إسماعيل عمايرة:" لا شك أنّ قرب الأصوات في صفاتها ومخارجها يفسّر لنا تبادلها سواء أكان ذلك في العربية أم في سواها من اللغات الأخرى"(٨).

أما السيرافيّ فلم يختلف مع العلماء متقدميهم ومتأخريهم، في الأساس الذي اعتمدوه تفسيرًا لظواهر التبدّل التي تحدث بين الأصوات، من حيث إنه اشترط التقارب الصوتي بين الأصوات المبدلة أساسًا في تفسير تلك التبدلات

---

(١) ابن السكّيت(أبو يوسف يعقوب، ت٢٤٤هـ/٨٥٨م) **الإبدال**، تقديم وتحقيق حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٨. الزجاجي(عبد الرحمن بن اسحاق، ت٣٤٠هـ/٩٥١م) **الإبدال والمعاقبة والنظائر**، تحقيق فوزي يوسف الهابط، دار الولاء للطبع والتوزيع، ١٩٩٣. اللغوي(أبو الطيب عبد الواحد، ت٣٥١هـ/٩٦٢م) **الإبدال**، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق، ١٩٦٠.

(٢) سيبويه(أبو بشر عثمان بن قنبر،ت١٨٠هـ/٧٩٦م)، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت،ط١,٤،٢٣٧/١،المبرد(أبو العباس محمد،ت٢٨٥هـ/٨٩٨م) **المقتضب**، تحقيق عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٥هـ.٦١/١،ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي، ت ٣١٦هـ/٩٢٨م) **الأصول في النحو**، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩. ٢٤٤/٣.ابن جني(أبو الفتح عثمان،٣٩٢هـ/١٠٠١م)**سرّ صناعة الإعراب**، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣،٦٣/١.الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م) **المفصّل في علم العربية**، وبذيله كتاب المفصّل في شرح أبيات المفصل، للسيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط٢، دار الجيل، بيروت، لبنان،٣٦٠، **شرح المفصل** ٧/١٠، **شرح الشافية** ١٩٧/٣.

(٣) الفرّاء (أبو زكريا يحيى بن زياد، ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م) **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥. ٢٤١/٣، **سر صناعة الإعراب** ١٨٠/١،١٥٥/١وما بعدها، القيسي (مكي بن أبي طالب القيسي، ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م) **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، تحقيق: أحمد حسن فرحات، ط٣، دار عمار، عمان، الأردن، ١٩٩٦، ٢١٦.

(٤) ابن سيده (أبو الحسن علي بن اسماعيل، ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٥م) **المخصّص**، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨. ٢٧٤/١٣.

(٥) شاهين، عبد الصبور، **أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي** (أبو عمرو بن العلاء)، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧. ٢٦٧.

(٦) مرعي، عبد القادر، **المصطلح الصوتي عند علماء العربية**، منشورات جامعة مؤته، الأردن، ط١، ١٩٩٣، ١٧٠، عبد الباقي، ضاحي، **لغة تميم** دراسة تاريخية وصفية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٥، ٦٧.

(٧) أنيس، إبراهيم،**من أسرار اللغة**، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦، ٦٢وما بعدها.

(٨) عمايرة، إسماعيل أحمد، **بحوث في الاستشراق واللغة**، دار وائل للنشر، عمان، ط٢، ٢٠٠٣، ٢٠٢ وما بعدها.

الواقعة بينها،ومن ذلك أنه يقول:"ولا يجب البدل في كلّ موضع"[١].وإنما أساس الإبدال عنده كما يرى فيما تناسب وتقارب من الأصوات، ويتكشف لنا هذا من قوله:"فأبدل من الألف هاء في لفظة (بَعْدِمَهْ) لأنهما متقاربتا المخرج"[٢].وقوله: وإنما استجاز هذا- ويعني الإبدال الواقع بين هذين الصوتين-؛ لأن العين والهمزة من موضع واحد[٣]. وقوله:"فجعل الراء مكان اللام لتجاورهما في المخرج "[٤].

وقد قسّم علماء اللغة الإبدال إلى نوعين هما: الإبدال القياسي(الصرفي): ويطلق هذا المصطلح على التبدلات الصوتية الناجمة عن التفاعلات الصوتية، وتأثر بعضها ببعض، ولا يترتب عليها تغيير في معنى الكلمة الصرفي، أو وظيفتها النحوية، فهو قياسي تسري قوانينه على كل لغاتها ولا تختلف[٥]، وهذا هو ما سمّاه رمضان عبد التواب:" بالتغيرات التركيبية، وهي التي تصيب الأصوات من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة"[٦].والإبدال السماعي(اللغوي): وهذا النوع من الإبدال إما أن يكون إبدالاً لهجيًا؛أي أنه شاع في قبيلة معينة وأصبح يُنسب إليها، أو أن يكون سمع وشاع دون أن يُنسب إلى قبيلة معينة. فهو إذن إبدال قاصر على لغة أو لغات معينة[٧]، وهذا هو ما سمّاه رمضان عبد التواب (التغييرات التاريخية):" تلك التغييرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته صوتًا آخر"[٨]، أو(الإبدال الحرّ): وهو أن يتحول الصوت اللغوي في الكلمة إلى آخر دون تأثره بصوت غيره في الكلمة نفسها تغيرًا مطردًا، وإذا لم يكن الإبدال مشروطًا بموقع معين من الكلمة دخل تحت باب الإبدال غيرالمطرد. [٩].وهو عينه ما أشار إليه السيرافيّ قائلا:"وقد يبدل بعض العرب حروفا من حروف لا تجري مجرى الضرورة؛لأنّ ذلك لغتهم "[١٠]، ومن ذلك:

أولا: إبدال بني تميم العين من الهمزة (العنعنة) [١١]:

يعلّل السيرافيّ تسمية هذا الإبدال بالعنعنة بقوله: "لاجتماع العين والنون،فركبوا منهما فعلا"[١٢].ثم يضرب لهذا الإبدال مثلاً قول ذي الرمة من(البسيط):

أعَنْ تَرَسَّمتَ مِنْ خَرقاءَ مَنْزِلةً   ماءُ الصَّبابَةِ مِنْ عَيْنيكَ مَسْجومُ

ويقول السيرافيّ في أصل (أعن):"أراد (أأن) ترسمتَ، وإنما يفعلون هذا في الهمزتين إذا اجتمعتا كراهية لاجتماعهما، وهذا الذي يُسمّى عنعنة تميم، وربّما أبدلوا من الهمزة الواحدة مع النون، وأكثرُ من ذلك في(أن)" [١٣].

(١) السيرافيّ، **ما يحتمل الشعر من الضرورة**،١٨٠.

(٢) **السابق**، ١٦٠.الشاهد في قول أبي النجم العجلي: **الله أنجاك بكفّيْ مَسلمة   من بَعْدِما وبَعْدِما وبَعْدِمَهْ**

(٣) **السابق**، ٢٠٢. الشاهد في قول العجاج: **حدَّث حديثَين امْرَأةْ   فإنْ أبَتْ فَأَرْبَعَةْ**

(٤) **السابق**، ٢٠٢. الشاهد في قول الشاعر: **أنا لها بعيرها المُذَلّلْ   أحْمِلُها وحمَلَتْني أكثَرْ**

(٥) **لغة تميم** ٦٩، **المصطلح الصوتي** ١٧١.

(٦) عبد التواب، رمضان: **التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه**، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٩٨٣، ١٧.

(٧) **لغة تميم**، ٧٠، **المصطلح الصوتي** ١٧٢.

(٨) **التطور اللغوي**، ١٧.

(٩) **لغة تميم**، ٧٠ وما بعدها.

(١٠) السيرافيّ، **ما يحتمل الشعر من الضرورة**،١٧٤وما بعدها.

(١١) **المرجع السابق**، ١٧٥.

(١٢) **المرجع السابق**، ١٧.

(١٣) **المرجع السابق**، ١٧٥.

فإذا كان السيرافيّ قد نسب هذه الظاهرة إلى تميم فقط،فإنّ الفرّاء قد نسبها إلى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم، فيما نقله ابن منظورعنه قائلا: "إنهم يجعلون ألف (أن) إذا كانت مفتوحة عينا، يقولون أشهد عنّك رسول الله،فإذا كسروا رجعوا إلى الألف، وفي حديث قَيْلَةَ: تحسب عنّي نائمة؛ أي تحسب أني نائمة"(١). وإني لأحسب أن اشتراط تحريك الألف بالفتحة لهذا الإبدال جاء من باب أن أنسب الحركات إلى حروف الحلق هي الفتحة.

وعن علّة هذا الإبدال؛ أقول: لمّا كانت للهمزة ملامح صوتية تميزها من غيرها من الأصوات الصامتة والصائتة، من حيث إنها صوت حنجري انفجاري، يتم نطقها بإقفال الأوتار الصوتية إقفالاً تامًا أمام الهواء الخارج لحبسه مدة من الزمن، ثم إطلاقه فجأة محدثًا هذا الصوت الانفجاري(٢)، وهي عملية تحتاج إلى مجهود عضلي كبير، كان العلماء القدماء بحسّهم الذوقي قد أحسّوا مشقته،فهي عندهم صوت شديد مستثقل(٣)- فقد كان لابدّ لبعض اللهجات العربية من البحث عن بديل لهذا الصوت،الأمر الذي يؤكده جملةُ التغيرات الصوتية التي تحدث لصوت الهمزة كـ: (الإبدال والحذف والتسهيل) وغيرها مما هو موجود في كتب اللغة (٤)، لا بل إن هذه التغييرات الصوتية - كما يرى بروكلمان - لها أصل في اللغات السامية كالبابلية والآشورية(٥). وعليه؛ فإنّ ظاهرة الخلاص من الهمزة في اللهجات العربية يعد مظهراً من مظاهر قانون الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول. (٦).

وأما الذي سوّغ هذا الإبدال بين (العين والهمزة) فذلك؛لأنهما صوتان متجاوران في المخرج، فالهمزة صوت حنجري، والعين صوت حلقي، ثمّ إنهما يشتركان في صفة (الجهر)، وبناء على هذا التلاقي الصوتيّ بين هذين الصوتين فقد أبدلت العرب من الهمزة عيناً، ومن العين همزة، فيقولون: "أأْديت فلانًا على فلان، وأعْديته، وموت ذؤاف وذعاف، وأردت أن تفعل وعن تفعل"(٧). وقد حمّل بعض المحدثين هذا الإبدال على أنه من باب المبالغة في تحقيق الهمزة إذ قال: "فمن يبالغ في هذا التحقيق، ويراد أن يكون أوضح في السمع يستبدل بها أحد الأصوات الحلقية القريبة منها مخرجًا وصفةً، وأقرب أصوات الحلق إليها هو(العين) لأن العين صوت مجهور وهو أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة مخرجًا(٨). وربما يكون هو ذات الأمر الذي أشار إليه ابن دريد حين قال: "إن بني تميم عندما يحققون الهمزة يجعلونها عينًا"(٩).

---

(١) **لسان العرب**، مادة (عنن).

(٢)مع الاختلاف في جهرية الهمزة وهمسها،، بشر، كمال، **علم اللغة العام (الأصوات العربيّة)**، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٧،١١٢، أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٩٩،٨٩ وما بعدها،السعران،محمود، **علم اللغة**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٧ وما بعدها. استيتيَّه، سمير شريف، **الأصوات اللغوية**، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٣، ١٠٧. الأنطاكي، محمد، **المحيط في أصوات العربية**، ونحوها وصرفها، ط٣، دار الشرق العربي، بيروت، شارع سورية،١/ ٨٤.

(٣) **الكتاب** ٥٤٨/٣، **شرح الشافية** ٣١/٣ وما بعدها، **شرح المفصل** ١٠٧/٩، ١٢٤/١٠.

(٤) **الكتاب** ٥٤١/٣، **سرّ صناعة الإعراب** ٦٩/١،السيوطيّ،**الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت). ٢٧٧/١. ابن عصفور(علي بن مؤمن الإشبيلي، ٦٦٩هـ/١٢٧٠م)**الممتع في التصريف**، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان. ٤٠٤.

(٥) بروكلمان،كارل، **فقه اللغات السامية**، ترجمة رمضان عبدالتواب، السعودية، الرياض،١٩٧٧م، ٤١.

(٦) **التطور اللغوي**، ٤٧ وما بعدها، وانظر، أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، ٧٨.

(٧) **الرعاية**، ١٦٢.

(٨) أنيس، إبراهيم، **في اللهجات العربيّة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣، ١١٠ وما بعدها.وانظر مجاهد، عبد الكريم، **علم اللسان العربي**، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط١، ١٩٩٧،٢٠٩.

(٩) ابن دريد(أبو بكرمحمد بن الحسن الأزدي، ت٣٢١هـ/٩٣٣م) **جمهرة اللغة**، مكتبة المثنّى، بغداد(د.ت)،٢٣٧/١.

ثانيا: إبدال بكر بن وائل كاف المؤنث شينا (الكشكشة).

يقول السيرافيّ: "وقد يبدل بعضهم من كاف المؤنث شينا، كقولهم:(منش يا امرأة) يريد (منك)، قال الشاعر[١](الطويل):

فَعَيناش عَيْناها وجِيدُش جيدُها   سوى أنَّ عَظْمَ السَّاق مِنْش دَقيقُ

وهذه اللغة في بكر بن وائل، وتُسمّى كَشْكَشَةُ بَكْر"[٢].

وبناء على كلام السيرافيّ السابق فإنه يمكننا عرض هذه المسألة من جانبين أولهما: أن الكشكشة ظاهرة لهجية عُرِفت في بني بَكْر، الأمر الذي يعني أن السيرافيّ يقصر هذه الظاهرة فيهم، في حين نجد أنّ الكتب اللغوية القديمة قد نسبتها إلى أناس من تميم[٣] وأسد[٤]،ونسبها آخرون إلى ربيعة ومُضَر[٥]، ونسبها ثعلب في أماليه إلى هوازن[٦]، وفي(لهجات العرب) لأحمد تيمور ينقل نسبتها كذلك إلى سليم[٧] وبكر[٨] وتغلب[٩] وقضاعة[١٠]، فكأنها ظاهرة عاشت في كثير من اللهجات العربية القديمة، الأمر الذي حدا ببعض العلماء المحدثين أن يخلص إلى أنها لهجة عربية ذكرها اللغويون في كتبهم، دون أن يسمعها بنفسه أو لم يجر ذكرها على لسانه، وإلاّ لما اختلفوا في دلالتها[١١]، من حيث إنّ تلك الدلالة وحقيقتها الصوتية قد رويت بأشكال عدة[١٢]:فتارة هي قلب كاف المخاطب المؤنث شيناً في حالة الوقف. وتارة هي إلحاق شين بكاف المخاطب المؤنث في الوقف. وتارة أخرى هي قلب كاف المخاطب المؤنث شيناً في حالة الوقف والوصل.

هذا يعني أنّ السيرافيّ قد أخذ بالرأي القائل بأنّ (الكشكشة) هي قلب كاف المخاطب المؤنث شيناً، لا إلحاق شين بكاف المخاطب المؤنث، دون أن يرهن أمر هذا الإبدال بالوقف أو عدمه.وهو الوصف الذي راق لإبراهيم أنيس

---

(١) وهو مجنون بني عامر، انظر **ديوانه** ٢٠٧، وقد روي بيت الشاهد من غير كشكشة، **سر صناعة الإعراب** ٢٠٦/١.

(٢) السيرافيّ، **ما يحتمل الشعر من الضرورة**،١٧٦.

(٣)**الكتاب** ١٩٩/٤، **فقه اللغة** ١٢٩، **شرح الشافية**٤١٩/٤، المبرد(أبو العباس محمد ت٢٨٥هـ/٨٩٨م) **الكامل في اللغة والأدب**، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت) ٣٧١/١ وما بعدها.

(٤) الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، ت ١٧٥هـ/٧٩١م) **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، (د.ت). مادة (كشّ)، **الكتاب** ١٩٩/٤ وما بعدها، البغدادي،(عبد القادر بن عمر١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)، **خزانة الأدب**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣،١١/٤٦١، ابن فارس(أبو الحسن أحمد ٣٩٥هـ/١٠٠٤م) **الصاحبي**، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة. ٣٥، **المزهر** ٢١٠/١ ونص ابن فارس، غالب، علي ناصر، **لهجة قبيلة أسد**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩،١٠١، **المصطلح الصوتي** ١٧٥، انيس، إبراهيم **الأصوات اللغوية**، ١٦٩.

(٥) ابن جني، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية (د.ت). ١١/٢، ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى، ت٢٩١هـ/٩٠٣م)، مجالس ثعلب، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٠م، ١٠٠، وانظر **خزانة الأدب** ٤٦٧/١١، **المزهر**٢٢١/١، الجندي، أحمد علم الدين، **اللهجات العربيّة في التراث**، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣. ٣٥٩/١.

(٦) **المزهر** ٢١١/١، **التطور اللغوي** ٩٣.

(٧) تيمور، أحمد، **لهجات العرب**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٧٨، ٦٦.

(٨) **السابق**،٧٠، وانظر **التطور اللغوي**، ٩٣.

(٩) تيمور، أحمد،**لهجات العرب**، ٧٤.

(١٠) **السابق**، ٧٨.

(١١) **علم اللسان العربي**، ٢٠٢.

(١٢) انظر التفصيل في هذا الأمر، **لغة تميم**، ٧٣.

حين قال:"فالذين رووا هذه الظاهرة بين اللهجات العربية القديمة وقصروها على قلب كاف المخاطبة إلى(شين) كانوا أقرب الجميع إلى الصواب"، إلاّ أنه رفض فكرة أن يكون هذا الإبدال مرهونًا بالوقف فقط؛ إذ ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية(1).لا بل إن بعض المحدثين يعرف الكشكشة بأنها: نطق كاف الخطاب المؤنث شينًا(2). وفي هذه الآراء الصوتية الحديثة توافق مع ما ورد في أقوال السيرافيّ من تعريف لهذه الظاهرة. ويؤيد بعض المحدثين هذا الرأي وذلك بناء على أمرين (3):

أولهما: أن أغلب الذين رووا هذه الظاهرة استشهدوا بالشواهد التي اختصت بحالة قلب الكاف شينًا، كاحتجاجهم بالقراءات القرآنية " قد جعل ربش تحتش سريًا"(4)، وقوله تعالى"إن الله اصطفاش وطهرش"(5) بإبدال كاف المؤنث شينًا(6)، وقد أنشدوا للمجنون(7):

فَعَيَناش عيناها وجيدُش جِيدُها سوى أن عظمَ السَّاق مِنْش دَقِيقُ

في حين اصطنعوا لظاهرة إلحاق شين بكاف المخاطب المؤنث أمثلة يبدو أنها كانت من وضعهم مثل: أعطيتكش وأكرمتكش،(8) فهي أقوال مصطنعة لا توازي في علم أصول الاحتجاج حجة القراءات القرآنية- وإن كانت شاذة- كما لا توازي قوة حجّة الشواهد الشعرية.

أما ثانيهما: فإن وجود هذه الظاهرة في لهجات عربية حديثة وقد قلبت الكاف صوتًا مزجيًا دون أن تلحق شينًا لكاف الخطاب،كما في بعض لهجات شرقي الجزيرة العربية والخليج العربي وفي جنوب العراق وفي فلسطين والأردن وسوريا(9) يلقي ضوءًا على روايات اللغويين من اللهجات القديمة ويبني جسرًا بين هذه اللهجات وما امتد منها في لهجاتنا العربية، في محاولة لتأكيد ما ذُهِب إليه من أن الكشكشة إبدال شين لا زيادة شين. وعليه؛ فأراني أطمئن إلى القول: إنّ الكشكشة ظاهرة تختص بإبدال الكاف المؤنثة شينًا لا بزيادة شين بعد تلك الكاف؛ "إذ ليس هناك ما يدعو إلى أن تتصل الكاف بصوت آخر"(10).

(1) **في اللهجات العربية**، ١٠٨.

(2) مرعي، **المصطلح الصوتي**، ١٧٥.

(3) غرايبة، علاء الدين أحمد، ظواهر صوتية في لهجة عجلون (بحث)، **مجلة دراسات**، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٣٥، ع١، ٢٠٠٨م، ٥٩ وما بعدها.

(4) **مريم**،الآية ٢٤.

(5) **آل عمران**، الآية ٤٢.

(6) **فقه اللغة** ١٢٩، **شرح المفصل** ٤٩/٩، **لغة تميم**، ٧٣، **اللهجات العربيّة في التراث** ٣٦١/١، **المصطلح الصوتي**، ١٧٥، الزعبي، آمنة، **التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية**، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٥. ٦٦.

(7) **سرّ صناعة الإعراب** ٢٠٦/١، وما بعدها، وانظر أبياتًا أخرى في **الجمهرة** ٥/١، **والإبدال لأبي الطيب اللغوي** ٢٣١/٢ وما بعدها، **المصطلح الصوتي** ١٧٥، **والتغير التاريخي للأصوات**، ٦٧.

(8) **سرّ صناعة الإعراب** ٢٠٧/١، وانظر **الكامل في اللغة والأدب**، ٣٧١، **خزانة الأدب** ٤٦١/١١.

(9) **في اللهجات العربية**، ١٠٨، **التطور اللغوي** ٩٣، **المصطلح الصوتي**، ١٧٦، **علم اللسان العربي** ٢٠٣، **التطور التاريخي للأصوات**، ٦٨، عبد العال،عبد المنعم سيد، لهجة شمال المغرب (تطوان وما حولها)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ٨٣. عبد القادر مرعي الخليل ويحيى القاسم، **لهجة الكرك**، دراسة وصفية تاريخية،، منشورات جامعة مؤتة، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.، ٥٨.

(10) **اللهجات العربيّة في التراث**، ٣٦١/١.

ونلحظ في أغلب الكتب التي تروي هذه الظاهرة اللهجية- بما فيها عبارة السيرافيّ- أنها تجمع على أنّ الصوت المُبدَل من صوت الكاف هو صوت الشين[١]، فهل هو صوت الشين الغاري الخالص أم هو صورة لنطق يقرب منه؟ ومن الذين تصدوا لوصف هذا الصوت ابن دريد حين فقال: "إنه الحرف الذي بين الجيم والشين"[٢]وابن فارس الذي وصفه وصفًا مختلفًا قليلاً إذ قال:" الحرف الذي بين الشين والجيم والياء"[٣]وإننا نلحظ من هذه الأوصاف أن الأصوات المشتركة جميعها في وصف صوت الكشكشة هي أصوات غارية تقرب من صوت الكاف الطبقي.

وقد وصفه علماء اللغة المُحْدَثُون بأنه صوت يوافق صوت (ch) في كلمة (chair) في اللغة الإنجليزية؛أي "تش"[٤]،ويرجّح إبراهيم أنيس أن ما سمعه الرواة ليس "شينًا" وإنما هو "تش" بدليل شيوع هذه الظاهرة في اللهجات العربية الحديثة على صورة "تش" فليس مثل هذا مما يسوّغه التطور الصوتي"[٥]، وقد وصفه- اعتمادًا على التجارب الصوتية الحديثة- بأنه يتكون من عنصرين: أولهما ينتمي إلى الأصوات الشديدة وهو ما يشبه التاء، وثانيهما إلى الأصوات الرخوة وهو ما يشبه الشين[٦]،واكتفى إسماعيل عمايرة بوصفه قائلاً:" صوت مشرب بالشين"[٧].

أمّا لماذا طغى صوت (الشين) على عبارات القدماء الواصفة لهذه الظاهرة؛ فذلك لا لأنهم-كما يرى بعضهم- لم يجدوا رمزًا كتابيًا لهذا الصوت في الأبجدية العربية[٨] فحسب،بل لأنّ ظهور القيمة الصوتية للشين وهي (التفشي) وطغيانها على الصوت المزجي البديل هو ما جعل القدماء يختارون له رمز الشين، فهو صوت مشرب بالشين في كل أحواله كما هو في الدرس الصوتي الحديث[٩]،وقد لحظ القدماء هذا حين عللوا وقوع ظاهرة الكشكشة في اللهجات العربيّة، فقال البغدادي: "أرادوا البيان في الوقف لأن في الشين تفشيًا"[١٠].

ونستطيع تفسير حدوث هذه الظاهرة من باب تخفيف الجهد العضلي المبذول في أثناء النطق؛ إذ إن الكاف صوت انفجاري ينحبس الهواء معه في مجرى النفس أثناء النطق به، نتيجة التقاء عضوي النطق وهما مؤخرة

---

(١) انظر **الهوامش**: (٣)، (٤)، (٥) من ص ٧.

(٢) **الجمهرة** ١/٥.

(٣) ابن فارس، **الصاحبي**، ٣٦. وانظرابن الجزري(محمد بن محمد الدمشقي ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) **النشر في القراءات العشر**، تقديم علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ٣٦.

(٤) **في اللهجات العربيّة** ١٠٩، عبد العزيز مطر، **ظواهر نادره في لهجات الخليج العربي**، دار قطري بن الفجاءة، قطر،٧٩، **علم اللسان العربي** ٢٠٣، **المصطلح الصوتي** ١٧٦، **التطور اللغوي**، ٩٢، **لغة تميم**، ٧٧، غالب، **لهجة قبيلة أسد**، ١٠٤، **لهجة شمال المغرب** ٨٣، **اللهجات العربية في التراث** ١/٣٦١، **التطور التاريخي للأصوات** ٧٦.

(٥) **في اللهجات العربيّة**، ١٠٩.

(٦) **السابق**، ١٠٨، وانظر **التطوّر اللغوي** (الوصف ذاته) ٩٢.

(٧) عمايرة، إسماعيل،**تطبيقات في المناهج اللغوية**، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، ٢٠٠٠م، ٢٠٤.

(٨) **علم اللسان العربي**، ٢٠٣، **التطوّر التاريخي للأصوات**، ٦٦.

(٩) **في اللهجات العربية**، ١٠٨، **التطوّر اللغوي** ٩٣، **المصطلح الصوتي**، ١٧٦، **علم اللسان العربي** ٢٠٣، **التطور التاريخي للأصوات**، ٦٨، **لهجة شمال المغرب**، ٨٣.

(١٠) **خزانة الأدب** ١١/٤٦١، وانظر ما جاء في **الكامل في اللغة والأدب** ٣٧١.

اللسان بالطبق، فكان الطريق للخلاص من هذه الانفجارية التي في الكاف قلبها صوتًا مزجيًا يبدأ بالانفجارية وينتهي بالاحتكاكية، ولهذا نجد إسماعيل عمايرة يقول: "لقد كان بعض العرب على تفاوت في ضيقهم ذرعًا بالصفة الانفجارية في الكاف، وقد مرّ بنا أن بعضهم كان يكشكشها؛ أي يُنهي الصوت الانفجاري بصوت احتكاكي هو الشين"(١). وعليه فإنّ ظاهرة الكشكشة في اللهجات العربية تعدّ مظهراً من مظاهر قانون الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول.

ثالثا: إبدال الياء المشددة والمخففة جيمًا في الوقف (العجعجة).

يقول السيرافيّ(٢):"ومنهم مَن يُبدل مكان الياء المشددة والمخففة جيما في الوقف،وأكثر ما يكون ذلك في المشددة،قال الشاعر(من الرجز):

خَالي عُوَيفٌ وأبو عَلِجّ المُطعِمانِ الشَّحمَ بالعَشِجّ

وبالغَداةِ فِلَقَ البَرْنِجّ

وقال في المخفّفة:

ياربِّ إنْ كُنتَ قبلت حِجَّتِجْ فلا يَزالُ شاحِجٌ يأتيك بِجْ

أقمرُ نهّاتٌ يُنزّي وَفْرتِجْ "(٣).

وبناء على كلام السيرافيّ السابق فإنه يمكننا عرض هذه المسألة من جانبين أولهما:أنّ السيرافيّ قد عرض للظاهرة اللهجيّة من حيث هي إبدال الياء المشددة والمخففة جيما في الوقف دون أن يطلق على هذه الظاهرة تسميتها التي عُرفت بها في كتب اللغة، وثانيهما: أنّ السيرافيّ لم ينسبها إلى قائليها كما فعل غيره من علماء اللغة القدماء مكتفيا بالقول: "ومنهم مَن يُبدل"(٤).

الأمر الذي استلزم البحث في مظانّ الكتب للكشف عن هاتين المسألتين اللتين أغفل السيرافيّ الكشف عنهما فقد ورد في الكتاب أن سيبويه قال: "وأما أناس من بني سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنها خفيّة، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف؛ وذلك قولهم: هذا تميمجّ يريدون: تميميّ، وهذا عَلِجّ، يريدون: عليّ"(٥). وورد في المفصّل قول الزمخشري:"قال أبو عمرو قلت لرجل من بني حنظلة ممن أنت، فقال:فقيمج،فقلت ممن، فقال: مُرِّجُّ"(٦)،يقصد: فقيميّ ومُرّيّ.في حين نسبها ابن منظور في لسانه لقضاعة قائلاً: "والعجعجة في قضاعة كالعنعنة في تميم،يحوّلون الياء جيما مع العين، يقولون:هذا راعجّ خرج معجِ؛ أي راعيّ خرج معي"(٧)؛ مشترطا وجود العين مسوّغا لهذا الإبدال.الأمر الذى حدا برمضان عبد التواب أن يقول: ليس لهذا القيد ما يبرره من الناحية الصوتية، اللهمّ إلا تبرير اللقب الذي وصفت به تلك الظاهرة (العجعجة)(٨).

---

(١) **بحوث في الاستشراق واللغة**، ٢٢٨.

(٢) **ما يحتمل الشّعر من الضرورة**، ١٧٦وما بعدها.

(٣) وردت **(لاهُمّ)** بدلا من**(ياربِّ)** في **شرح المفصل**،٥٠/١٠

(٤) **ما يحتمل الشّعر من الضرورة**، ١٧٦ وما بعدها.

(٥) **الكتاب**، ١٨٢/٤.

(٦) **المفصّل**، ٣٧١

(٧) **لسان العرب**، مادة (عجج).

(٨) **عبدالتواب، رمضان، فصول في فقه العربية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٥م، ١١٥.

وإن كان السيرافيّ قد أشار إلى أنّ مسألة إبدال الجيم المشددة والمخففة جيما إنما يكون في الوقف، فإنّه أشار كذلك إلى أنّ أكثر ما يكون ذلك في المشددة،الأمر الذي لم يظهره سيبويه.كما عارض فكرة تقيّد الياء بالتشديد لحصول هذا الإبدال كما فعل السيوطي[١] وابن يعيش[٢]، وإن كان الأخير قد نصّ على أنّ هذا الإبدال قد وقع في غير الياء المشددة.الأمر الذي يؤيد مذهب السيرافيّ في هذه المسألة.

وفي الدرس الصوتي الحديث أيد إبراهيم أنيس اشتراطهم الوقف لهذا الإبدال حين قال: "ويظهر أنّ الياء في ما ساقوه من أمثلة لم تكن في نطق القضاعيين ياء مدّ، بل كانت صوتا ساكنًا؛ أي أنه كان ينطق الراعيْ، حتى يمكن أن نتصوّر قلبها إلى جيم"[٣]. وأما الذي سوّغ إبدالهما وجوّزه فهو التقارب الصوتي الذي يجمعهما، من حيث إنهما صوتان غاريان،ثمّ إنهما صوتان مجهوران، وقد سبقني لهذا ابن يعيش حين قال: "الجيم تبدل من الياء؛لأنهما اختان في الجهر والمخرج،إلا أن الجيم شديدة ولولا شدتها لكانت ياء، وإذا شددت الياء صارت جيماً"[٤]. إلا أنّ صوت (الجيم) عند المحدثين هو صوت مزجي لا انفجاري(شديد) كما يراه القدماء. ثمّ إن كانت (الشدة) دالة على الظهور لا الخفاء وفق رؤية سيبويه لهذه المسألة، من حيث إنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنها خفيّة، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف، ويعني (الجيم)، فإنّ الأصوات الصائتة تُعدّ في الدرس الصوتي الحديث من أوضح الأصوات سماعًا. وعليه؛ وجب إعادة النظر في تعليل سيبويه لهذا الإبدال؛ إلا إن كان الصائت يضعُف في المكان الذي يشكّل نهاية مقطع، فخيف عليه من التناقص والزوال فأبدلوا منه صوتا لا يتأثر بالموقعيّة.

(٢)

الإشباع والتقصير

أطلق العلماء القدماء مصطلح (الحركات) على الصوائت القصيرة دون الطويلة، ذلك أن الطويلة عندهم هي حروف مدّ أقرب إلى الصوامت منها إلى الصوائت، بدليل أنهم عاملوها معاملة الصوامت حينما عدّوا الألف والواو والياء في بعض مواطنها ساكنة وما هي إلاّ صوائت طويلة[٥]، وإنما سُمّيت بالحركات؛ "لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به، وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها؛ "فالفتحة تجتذب الحرف نحو الألف، والكسرة تجتذبه نحو الياء، والضمة تجتذبه نحو الواو"[٦].

إلا أنهم قد فرّقوا بين الصوائت من جانبين: الأول حينما فرّقوا بين الصوائت الطويلة، فأشاروا إلى الفرق النطقي بين الألف صائتاً اتّسع مخرجه والياء والواو صائتين قلّ اتساع مخرجهما؛ ولهذا فالألف أخفّ عندهم من الواو والياء، والفتحة أخفّ عليهم من الضمة والكسرة[٧]. والثاني حين فرّقوا بين الصوائت الطويلة ونظيراتها القصيرة. وذلك أنهم حصروا الفرق في الطول فقط، وقد نشأت فكرة التفريق هذه من صاحب الكتاب حين قال: "إنما

---

(١) السيوطي، جلال الدين،**الاقتراح في أصول النحو**، ط١، تحقيق أحمد الحمصي، جروس برس، ١٩٨٨م،٢٠١،**المزهر**،٢٢٢/١.

(٢) **شرح المفصل** ٥٠/١٠.

(٣) **في اللهجات العربية**،١٢٦.

(٤) **شرح المفصل** ٥٠/١٠.

(٥) انظر: **الكتاب** ٣٦١/٤-٣٨٥ إذ يعامل سيبويه الحركات الطويلة معاملة الصامت إذ عدّها ساكنة، وانظر **الرعاية** ٩٧-١٢٥-١٦٠ إذ يعد القيسي أصوات المدّ سواكن.

(٦) **سر صناعة الإعراب** ٢٦/١ وما بعدها.

(٧) **الكتاب**٢٠٢/٤،١٦٧.

الحركات من الألف والياء والواو"[١] وقال في موطن آخر: "الفتحة من الألف، والكسرة من الياء،والضمة من الواو"[٢]،وصاحب الكتاب إذ يفرّق بين الصوائت القصيرة والطويلة هاهنا من جانب فإنما يبني –ومن جانب آخر– علاقة صوتية بين الصوائت الطويلة ونظيراتها القصيرة، فيعدّ الفتحة من الألف وهو بهذا يّقرّب بين الصائت القصير (الفتحة) ونظيره الصائت الطويل (الألف) وهكذا الأمر بين الكسرة والياء والضمة والواو.

بيد أن المسألة بدت أكثر وضوحًا ونصاعة عند ابن جني؛ حتى ظن بعض الباحثين المحدثين أن ابن جني هو أول من أشار إلى هذه العلاقة[٣]،وهو تصور غير دقيق، لقد عالج ابن جني الموضوع معالجة تَنُمّ عن تذوّق رائع ورهافة حسّ، ففرّق بين الصوائت الطويلة ونظيراتها القصيرة، وفي الوقت ذاته أقام بينهما علاقة صوتية تجانسية تجمع كل صائت طويل ونظيره القصير في حيّز واحد، إذ قال: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين وهي الألف، والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة"[٤]، ثم ساق لهذا الرأي أدلة كثيرة تؤيد ما ذهب إليه[٥].فابن جني هنا يُقرّب ويجانس بين الصوائت الطويلة والقصيرة بعلاقة صوتية، كما يحصر الفرق بينها في الطول فقط. وقد خلص إلى نتيجة مفادها أن: "الأحرف توابع للحركات ومُتَنَشِّئة عنها، وأن الحركات أوائل لها وأجزاء منها، وأن الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة"[٦]وما أضافه في هذه الخلاصة أنه بحث في أصل العلاقة التي تربط الصائت الطويل بنظيره القصير، فوجد أن الصوائت القصيرة هي الأصل والمنشأ في وجود الصوائت الطويلة.

وحديثًا لم يختلف علماء اللغة مع القدماء في ما ذهبوا إليه من أنّ الصوائت القصيرة أبعاض الصوائت الطويلة، كما اتفقوا معهم على أنّ ثمة فرقًا بين مواضع هذه الصوائت، فقد فرّق علماء اللغة المحدثون بين الصوائت معتمدين على معايير متنوعة ومتعددة أهمها وضع اللسان أثناء النطق، من حيث هبوطه وصعوده، وتقدمه وتأخره، ووضع الشفتين من حيث انفراجهما، وضمهما، واتخاذهما وضعًا محايدًا[٧]. فقد رأى بعضهم أنّ "المدة الزمنيّة اللازمة لإنتاج الحركة الطويلة أطول من المدّة الزمنية اللازمة لإنتاج نظيرتها القصيرة"[٨]، وهو ما يتفق مع تعريف

---

(١) **السابق** ١٠١/٤.

(٢) **السابق** ٢٤٢/٤ وانظر ١١٤/٤وما بعدها.

(٣) الجنابي، أحمد نصيف،**الدراسات اللغوية والنحوية في مصر منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، القاهرة، دار التراث،١٩٧٧،٥٠ في الهامش.

(٤) **سر صناعة الإعراب**١٧/١ وانظر **الخصائص** ١٢٠/٣ وما بعدها.حديثه عن (الحركات الأصليّة والفرعيّة) على حدّ تعبيره.

(٥) **السابق** ١٨/١ وما بعدها.

(٦) **السابق** ٢٣/١.

(٧) هلال، عبد الغفار، **أصوات اللغة العربية**، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٦، ١١٢. عمر، أحمد مختار، **دراسة الصوت اللغوي**، عالم الكتب، القاهرة،١٩٩٧، ١٤٨. بشر، كمال، **علم اللغة العام**، ١٥٢. بركة، بسام، **علم الأصوات العام**، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د.ت)،٨٥.

(٨) استيتيّه، **الأصوات اللغوية**، ٢٤٨.

جان كانتينو للصوائت الطويلة إذ قال: "يُطلق اسم حركات طويلة على الحركات التي يمتدّ فيها إخراج النَفَس امتدادًا يصير معه مدى النطق بها مساويًا لمدى النطق بحركتين بسيطتين بل وقد يتعدّى ذلك"(١).

وأما السيرافيّ فلم يغفل الكلام على قضية الإشباع هذه وقد اصطلح عليها بمصطلح (الإطلاق)، فقد وجدته يعرض لها في غير ما موطن، ويقيم بين الصوائت القصيرة والطويلة علاقة صوتية تجانسية تجمع كل صائت طويل ونظيره القصير في حيّز واحد،إذ يقول: "والوجه الثاني: أن تكون الألف في (تخشى)(٢) زيدت لإطلاق الفتحة إذ كانت رأس آية، كما تُزاد في القوافي والكلام المسجوع. ومثل الآية قوله(٣):(سنقرئك فلا تنسى)(٤).ثمّ هو يقول: "وقوله(فأا):أراد (فأصابك الشرّ) وأطلق الهمزة بالألف لأنها مفتوحة"(٥).كما تتكشّف لنا هذه الأمور من قوله: "ومن ذلك أنهم قد يحذفون الواو الساكنة والياء الساكنة إذا كان قبلهما ضمة أو كسرة، فيكتفون بالضمة من الواو، وبالكسرة من الياء"(٦).

بيد أن ما يؤخذ على السيرافيّ بشكل خاص والقدماء بشكل عام أنهم كانوا يعتقدون بوجود صوائت قصيرة تسبق الصوائت الطويلة التي هي من جنسها، كقوله: "الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا". ومنه قوله: "ومن ذلك أنهم يدخلون جزما على جزم إذا لم يلتق فيه ساكنان، وذلك أنهم يجزمون (يشتري، ويتقي) فيسقطون الياء،فربما اضطر الشاعر فحذف الكسرة التي تبقى بعد حذف الياء فيقول: لم يشترْ زيد شيئا، ولم يتقْ....ويجوز أن يكون هذا على لغة مَن يحذف الياء في الرفع، ويكتفي بكسرة ما قبلها"(٧). الأمر الذي ترتّب عليه الخلط والاضطراب في معالجة الظواهر الصوتية التي كانت تتعلق بتلك الصوائت من إشباع وتقصير، من نحو قول السيرافيّ(٨): "فأول ذلك ما يزاد في القوافي للإطلاق، فإذا كانت القافية مرفوعة مطلقة جاز إنشادها على ثلاثة أوجه:

أحدها:أن تجعل بعد الضمة واوا مزيدة، كقول زهير(الطويل):

صحا القلبُ مِن سلمى وقد كادَ لا يَسْلو   وأقفرَ مِن سلمى التِّعانيقُ فالثِّقلُ ".

والحقيقة أنّ الواو لم تأتِ زائدة كما ظنّ السيرافيّ في لفظة (يسلو)، وإنما تكوّنت من إشباع الضمة التي هي حركة اللام من الفعل (يَسْلُ). ومنه كذلك قوله: "وقد تزيد العرب في الشّعر ياء في الجمع فيما ليس حكمه أن يُجمع بالياء، نحو قولهم: مسجد ومساجيد، ودرهم ودراهيم وصيرف وصياريف في الشّعر، قال الفرزدق (البسيط):

تَنْفي يَداها الحَصى في كلّ هاجِرةٍ   نفيَ الدَّراهيمِ تَنقادُ الصَّياريفِ

(١) كانتينو، جان، **دروس في علم أصوات العربية**، نقله إلى العربية، صالح القرمادي، نشريات مركز الدراسات والبحوث، الجامعة التونسية، ١٩٦٦،١٤٥ وما بعدها.

(٢) **طه**، الآية: ٧٧

(٣) **الأعلى**، الآية:٦.

(٤) **ما يحتمل الشّعر من الضرورة**،٧٠.

(٥) **السابق**، ١٠٥. وانظر ١٠٦.

(٦) **ما يحتمل الشّعر من الضرورة**،١٣١. وانظر ما بعدها من أمثلة قد استحضرت شاهدة على العلاقة الصوتية التجانسية بين الصوائت القصيرة ونظيراتها الطويلة.

(٧) **السابق**، ١٤٥. ١٦٠

(٨) **السابق**، ٣٥ وما بعدها. وانظر ١٢٥ وما بعدها.

وإنما الوجه في الكلام (الدَّراهِم و الصَّيارِف) "(١). والحقيقة أنّ الياء لم تأتِ زائدة كما ظنّ السيرافيّ في لفظتي:(الدَّراهيمِ والصَّياريفِ)، وإنما تكوّنت من إشباع الكسرة التي هي حركة الهاء من الأولى، والكسرة التي هي حركة الراء من الثانية، والذي دعاه لأن يذهب هذا المذهب هو اعتقاده بوجود صوائت قصيرة تسبق الصوائت الطويلة التي هي من جنسها،وهذا خطأ بيّن إذ لا وجود لها في هذه المواطن التي ذكرت.

وهو الاعتقاد الخاطئ ذاته الذي استند إليه لتفسير ما يصيب الصوائت الطويلة من تقصير، من حيث إنه قد وقع لتوهمه هذا في الخلط والاضطراب حين عالج بعض مظاهر التقصير تلك،ومن ذلك قوله: ولا يجوز حذف الواو والياء ممّا قبله متحرك إلا في الشّعر كقول الشاعر(الطويل) (٢):

وأيقنَ أنَّ الخيلَ إنْ تَلتَبِسْ بهِ يكُنْ لِفَسيلِ النَّخلِ بَعدَهُ آبِرُ

أراد: بعدهو، فهؤلاء حذفوا الواو فقط، وبقّوا ضمّة الهاء. وقال آخر(الطويل) (٣):

فإنْ يكُ غثًّا أو سَميناً فإنَّني سأجعلُ عَيْنيه لنفسِهِ مَقْنَعا

والوجه أن يقول (لنفسهي) فحذف الياء وبقّى الكسرة على حالها.وإنما جاز حذف هذه الحروف؛ لأنها زوائد تسقط في الوقف"(٤).إذ إنّ الحقيقة العلمية لتفسير هذه الظاهرة ليست كما يقول السيرافيّ من حيث إنّ الواو لم تكن زائدة كما لم تكن الياء زائدة كذلك، وإنما كانتا مشبعتين من الصائتين القصيرين المجانسين لهما، ثمّ هما صوتان لم يُحذفا من تينك اللفظتين: (بَعدَهُ ولنفسِهِ) كما ذهب السيرافيّ إلى ذلك، وإنما قُصِرا لينشأ عن هذا التقصير الصائتان القصيران اللذان هما من جنسهما، فالضمة متولدة من تقصير الواو، والكسرة متولدة من تقصير الياء.

وأخطأ السيرافيّ في الوقوف على حقيقة تشكّل الصائت الطويل (الألف) من لفظة (أماما) إذ قال(٥):"وأنشدوا أيضا (الوافر) (٦):

ألا أضحَتْ حِبالُكمُ رِماما وأضحَتْ مِنْكِ شاسِعَةً أُماما

أراد (أُمامَةَ) وحذف الهاء،وبقّى الميم على حالها". فأيّا كان المقصود بقوله:إن الميم قد بقيت على حالها فهو كلام يبعث على إعادة النظر في تفسير تشكّل الألف، والذي أراه أن الصائت الطويل (الألف) قد تشكّل نتيجة التقاء الصائتين القصيرين: فتحة الميم وفتحة التاء المربوطة نتيجة سقوط هذه التاء من اللفظة ليتشكل بهذا الالتقاء الصائت الطويل الألف الذي هو حركة الميم من (أُماما).

(٣)
الإتبـــــــــاع

الإتباع: "ظاهرة من ظواهر التطور في أصوات المدّ في الكلمات، فالكلمات التي تشمل على أصوات مدّ متباينة تميل في تطورها أثناء النطق إلى الانسجام حتى لا ينتقل اللسان من صوت مدّ إلى صوت مدّ آخر مغاير له"(٧)؛ ذلك

---

(١) **السابق**، ٨٠.

(٢) نسبه المحقق لحنظلة بن فاتك **ما يحتمل الشّعر من الضرورة**، وانظر **الكتاب** ١/١١.

(٣) نسبه المحقق لمالك بن حريم الهمداني **ما يحتمل الشّعر من الضرورة**، وانظر **الكتاب** ١/١٠.

(٤) **ما يحتمل الشّعر من الضرورة**،١٢٧ وما بعدها.وانظر ٢٧١.

(٥) **السابق**، ٩٦ وما بعدها.

(٦) هو لجرير، **ما يحتمل الشّعر من الضرورة**، ٩٦، **الديوان**،٢٢١، وانظر **الكتاب** ١/٣٤٣.

(٧) المطلبي، غالب،**في الأصوات اللغوية**، دراسة في أصوات المد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٤،ص١٨٣، أنيس،إبراهيم،**في اللهجات العربية**،ص٩٦، الراجحي، عبده، **اللهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.ص١٤٣.

أنّ الأصوات الصائتة في العربية قسمان: أصوات صائتة طويلة،هي: الألف والواو المديّة والياء المديّة، وأصوات صائتة قصيرة هي: الفتحة والضمة والكسرة، وبين هذه وتلك علاقة صوتية مشتركة (كمًّا وكيفًا)؛ إذ "الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة"(١).

فعلى الرغم من الفروق (الكميّة والكيفيّة) بين الصوائت الطويلة ونظيراتها القصيرة، إلاّ أنها تتجانس في نطقها الصوتي إلى حدّ يقرّب كلّ واحد منهما إلى نظيره؛ بغية التخلص من التنافر بين هذه الصوائت، يقول تمام حسّان:"ومما يعود في الذوق العربي أيضًا إلى كراهية التنافر ما يسمونه ظاهرة المناسبة (Vowel harmony) فالمعروف أن الفتحة وألف المدّ من قبيل صوتي واحد، وأن الكسرة وياء المدّ من قبيل آخر، وأن الضمة وواو المد من قبيل ثالث، فكل حركة من هذه الحركات الثلاث تناسب ما كان قبلها. ولقد لاحظ النحاة أن موقعًا ما قد يتطلب حركة معينة بحكم النظام؛ أي بحسب القاعدة، ولكن هذه الحركة المطلوبة قد تتنافر مع ما يجاورها أو على الأقل لا تناسبه، ومن هنا يبدو السياق وقد اتخذ في مكان هذه الحركة حركة أخرى تتناسب مع ما يجاورها(٢).

وعليه؛ فإنّ هذه الصوائت الطويلة منها والقصيرة – تتطلب التجانس في نطقها الصوتي؛ وذلك من خلال تجاذب كلّ واحد منها إلى نظيره بغية التخلّص من التنافر الصوتي بينها،فيما يُسمّى حديثا بـ(المماثلة بين الصوائت)، ووفق ما يقتضيه قانون السهولة والتيسير من تبدلات وتحولات في البنى اللغويّة. ويعني هذا القانون: أن يتأثر صوت صائت بصوت صائت آخر يجاوره مجاورة غير مباشرة؛ بسبب تنافرهما سعيًا للمجانسة بينهما سواء أكان هذا الصوت الصائت المؤثر لاحقًا له أم سابقًا عليه، وذلك بأن يجعله مثله أو قريبًا منه مع اختلاف في الكمّ والكيف اختلافا يسيرا؛ سعيًا لتحقيق التجانس الصوتي للأصوات في بنية الكلمات، ورغبة في تقليل الجهد العضلي المبذول أثناء الكلام(٣). إذ برهنت الملاحظة الحديثة على أن"الناطق حين يقتصد في الجهد العضلي يميل دون شعور منه أو تعمّد إلى الانسجام بين حركات الكلمات"(٤)،فهدف هذا التماثل إذن الوصول إلى الانسجام الصوتي والاقتصاد في الجهد العضلي المبذول أثناء الكلام، ومن هنا خرج بعض المحدثين إلى تسمية هذا التماثل بـ "الانسجام.(٥)"

وهذا يعني أنّ ظاهرة المماثلة لا تقتصر على الأصوات الصامتة دون الصائتة، فهذا ابن جني يُصرّح وبكل وضوح عن مدى معرفته الدقيقة بهذا المظهر من مظاهر المماثلة؛ إذ يقول: "واعلم أنك كما قد تجد هذه المضارعة وهذا التقارب بين الحروف، فقد تجده أيضًا بين الحركات"(٦).ومثال ذلك عنده قوله: "ومن التقريب قولهم: الحمدُ لُله، والحمدِ لِله"(٧)وهذا من باب التجانس بين الصوائت، فالأصل في حركة اللام أن تكون مكسورة كما أنّ الأصل في حركة الدال أن تكون مضمومة، إذ هي حركة إعراب، لكنهما في المثال الأول جاءتا مضمومتين، وفي المثال الثاني جاءتا مكسورتين، وتفسير ذلك أنّ الضمة في المثال الأول أثّرت في الكسرة اللاحقة لها فقلبتها إلى ضمة، والمماثلة

---

(١) **سرّ صناعة الإعراب**، ٢٣/١.

(٢) حسّان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩،٢٧٣.

(٣) المطلبي، غالب، **في الأصوات اللغوية**،٥٠، أنيس، إبراهيم، **في اللهجات العربية**، ص٩٦، حجازي، محمود فهمي، **مدخل الى علم اللغة**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩٥، ٢٢٩.الخولي، محمد علي، **الأصوات اللغوية**، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٠، ٢٠٩.هلال، عبدالغفار، **أصوات اللغة العربية**،٢٣٤.

(٤) أنيس، إبراهيم، **في اللهجات العربية**،٩٧.

(٥) العطية، خليل، **في البحث الصوتي عند العرب**، منشورات دار الجاحظ، بغداد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٣،٧٥ وما بعدها.

(٦) **سر صناعة الإعراب**، ٥١/١.

(٧) **الخصائص**، ١٤٤/٢.

هنا تقدمية كليّة -إذ اتجه التأثير من الصائت السابق (الضمة) إلى الصائت اللاحق (الكسرة) كما قلبته إلى جنسها.أما في المثال الثاني فقد أثّرت الكسرة في الضمة السابقة لها، فقلبتها إلى كسرة وصولاً إلى الانسجام الصوتي؛ فالمماثلة هنا رجعية كلية لأن التأثير اتجه من الصائت اللاحق إلى الصائت السابق وقلبه إلى جنسه أيضًا.

وللعلماء القدماء أحاديث وإشارات هامّة ودقيقة في هذا الموضوع،والأمثلة على مدى إدراك القدماء لهذا الشكل من أشكال المماثلة-وأعني المماثلة بين الصوائت- متعددة ومتنوعة(١)،مما يُعزى إليهم فضل السبق والتقدّم في الحديث عن المماثلة بين الصوائت، في حين يبقى للمحدثين فضل التفصيل والتوضيح فيه(٢).إذ يحدث أن يتأثر صائت بصائت آخر يجاوره بسبب تنافرهما؛ كأن يجاور صائت أمامي ضيّق صائتًا خلفيًا ضيّقًا، فيحدث بينهما تفاعل وتأثر للوصول إلى ما يسمّى بـ"التوافق الحركي" (٣) أو"توافق الصوائت "كما يرتضي بعضهم أن يسميها(٤)،وهذه المواءمة بين الصوائت ضرب من تجانس الصوت، وانسجامه وهدفها الإسراع والخفّة (٥).وإن المتتبع لبعض الظواهر اللغوية: الصرفية والصوتية، كالإتباع والإمالة وبعض مظاهر الإعلال منها ليجد هذا هو عين الحقيقة. ويقول غالب المطلبّي وقد سمّى هذه الظاهرة بالانسجام المدّي: "تكاد هذه الظاهرة تكون من السمات الأساسية لبنى طائفة كبيرة من اللغات فهي واضحة في العربية التأريخية وضوحًا تامًا ومن يبحث في الإتباع والإمالة وتغيُّر أصوات المد في طائفة من الكلمات يجد حتمًا أن ذلك كان نتيجة لخضوع العربية لضرب من الانسجام المدّي"(٦).

ولم يغفل السيرافيّ عن هذه الظاهرة، وأن الأمثلة التي ضربها في كتابه(ما يحتمل الشعر من الضرورة) دليل آكد على أنّه فهِمَ مسألة العلاقة الصوتية التي تربط الأصوات الصائتة الطويلة منها بالقصيرة فهمًا صحيحًا

---

(١) **الكتاب**، ٣٨٤/٣ وما بعدها/ ١٠٨/٤، **الخصائص** ١٤٥/٢،ابن جني،**المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق: عبد الفتاح شلبي وآخرين.ط٢، قدم لها محمد بشير الأدلبي، دار سزكين، ١٩٨٦. ٣٣٦/٢، **شرح المفصل**٤٧/٨، الأخفش،(سعيد بن مسعدة البلخي، ت٢٢١هـ/٨٣٥م) **معاني القرآن**، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٥،٩/١، النحاس،(أو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ت ٣٣٨هـ/٩٤٩م) **إعراب القرآن**، تحقيق: زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧،١/١٢٠،ابن خالويه، **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، قدم له فتحي حجازي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ٩٠،الأندلسي أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف، ت ٧٤٥هـ /١٣٤٤م)، **تفسير البحر المحيط**، مطابع النصر الحديثة، ١٩٨٣ ٢٨٤/١ ومابعدها،٣٧٨/١، ٤٤٥/٣، ٣٩٢/٤، ٢٠٠/٦، ١٨٣/٦، السيوطي، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط١،٧٢/١، ١٩٦/١ وما بعدها، ابن خالوية، **اعراب ثلاثين سورة من القرآن**، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٨٧،١٨، الأنباري، (كمال الدين أبو البركات، ت ٥٧٧هـ/١١٨١م) **البيان في غريب إعراب القرآن**، تحقيق: طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠. ٣٤/١، ٣٨.

(٢) انظر على سبيل التمثيل حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص ٢٧٣، المطلبي، غالب،**في الأصوات اللغوية**، ص٢٥٠، استيتيه، سمير، تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب (بحث) **مجلة البلقاء**، ع/١٩٩٦، ص٣٣، برجستراسر، **التطور النحوي** للغة العربية، تحقيق وتعليق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤.،ص١١، عطية، خليل، جهود الكوفيين في علم الأصوات، **مجلة كلية الآداب**، البصرة، ع٢٢،١٩٩١،ص٥٨، أنيس، إبراهيم، **في اللهجات العربية**، ص١٥٨، العطية، خليل، **في البحث الصوتي عند العرب**، ص٧٥وما بعدها، الراجحي، عبده، **اللهجات العربية في القراءات**، ص ١٤٥وما بعدها.

(٣) حجازي، **مدخل الى علم اللغة**، ٢٢٩.

(٤) الخولي، **الأصوات اللغوية**، ٢٠٩.

(٥) هلال، **أصوات اللغة العربية**، ٢٣٤.

(٦) المطلبي، **في الأصوات اللغوية**، ٥٠.

دقيقًا[١].إذ يتكشّف لنا هذا الأمر من قوله: "ومن ذلك أنهم قد يحذفون الواو الساكنة والياء الساكنة إذا كان قبلهما ضمة أو كسرة،فيكتفون بالضمة من الواو، وبالكسرة من الياء"[٢]. ومنه أيضا قوله: "إذا كانت القافية مطلقة مخفوضة ففيها الأوجه الثلاثة،غير أنهم يجعلون مكان الواو في المرفوع ياء في المخفوضة"[٣]. من باب المجانسة بين الصوائت، من حيث إن الضمة تتطلب في الرفع الواو، وإنّ الكسرة تتطلب في الخفض الياء.

وعلى ما تقدّم أقول: إنّ السيرافيّ قد وقف على العلاقة الصوتيّة التي تربط الصوائت القصيرة بالطويلة المجانسة لها،إلاّ أنني لا أتفق معه في ما ذهب إليه حين رأى أنّ الصائت الطويل يحُذف ويؤتى بالصائت القصير المجانس له ليدلّ عليه؛ فالتفسير الصوتيّ للمسالة هو غير ذلك – فيما أحسب – من حيث إنّ الصائت الطويل لا يحذف كما يقول السيرافيّ بل يُقصّر ليتكون من هذا التقصير الصائت القصير المتبقي منه؛ ذلك أنّه لا وجود للصوائت القصيرة قبل الصوائت الطويلة التي هي من جنسها.

وأما تناول السيرافيّ ظاهرة المماثلة بين الصوائت فقد ظهر من خلال معالجته بعض القضايا اللغوية التي تتعلق بهذه المسألة، وأعني مسألة (الإتباع بين الصوائت). ومن ذلك قوله: "إنهم قد يحركون الحرف الساكن بحركة ما قبله إذا ما اضطروا إلى ذلك، فمن ذلك قول رؤبة:

وقَاتِمِ الأعْمَاقِ خاوِي المُخْتَرَقْ
مُشْتَبَهِ الأعْلامِ لَمّاحِ الخَفَقْ

وإنما هو (الخَفْقُ)، فحرك الفاء بحركة الخاء"[٤]. ومثله قوله في بيت عبد مناف الهذلي[٥]:

إذا تجرَّد نوْحٌ قامَتا معَهُ ضَرْبًا أليمًا بسِبْتٍ يَلْعِجُ الجلِدَا

"فَكَسَرَ اللامَ من (الجلِدَا) إتباعًا للجيم "[٦].ففي المثال الأول خرجت (الفاء) من سكونها إلى حالة التحريك بالفتح متأثرة بحركة (الخاء) وهي الفتحة تأثرا تقدميًا كليًا؛ ذلك أن التأثير قد تحرك نحو الأمام وقد قلب السكون إلى حركة مماثلة تمامًا للحركة المؤثرة، وقد فصل بينهما صوت (الفاء) لتكون المماثلة في هذا المثال مماثلة غير مباشرة. وكذلك هو الأمر في المثال الثاني من حيث إنّ المماثلة كانت تقدمية كلية غير مباشرة.

ومن مظاهر هذا القانون أيضا قول السيرافيّ في (هاء الكناية) وحكمها: "إذا اتصلت بحرف مفتوح أو مضموم أن تضمّ وتزاد عليها واو في الوصل كقولك: رأيْتُهوُ، وضربت غُلامَهُو يا فتى، وإذا اتصلت بحرف مكسور كان فيها وجهان: إن شئت ضممتها وألحقتها واوًا، وإن شئت كسرتها وألحقتها ياء، كقولك: (مررت بغلامِهي، وغلامهو يا فتى). وإنما ألحقوا هذه الواو والياء لأنّ الهاء خفيّة، فأرادوا إبانة حركتها، والأصل فيها الضمّ"[٧]. "فإذا كان ما

---

(١) انظر **البحث**،١٤، و(**ما يحتمل الشّعر من الضرورة**)،١٤٥.

(٢) (**ما يحتمل الشّعر من الضرورة**)،١٣١. وانظر ما بعدها من أمثلة قد استحضرت شاهدة على العلاقة الصوتية التجانسية بين الصوائت القصيرة ونظيراتها الطويلة.

(٣) **السابق**، ٣٨

(٤) **السابق**، ٥٨.

(٥) انظر **ديوان الهذليين**،تحقيق أحمد الزين ومحمود أبو الوفا، الدار القوميّة للطباعة والنشر،القاهرة،١٩٦٥م،٣٩/٢.

(٦) **ما يحتمل الشّعر من الضرورة**، ٦٠ وما بعدها.

(٧) **السابق**، ١٢٥.

قبلها ساكنا فأنت بالخيار إن شئت ألحقت واوا أو ياء فيما كان قبل الهاء منه الياء،وألحقت واوا فيما كان قبل الهاء منه غير الياء،وإن شئت لم تلحق كقولك:(عليْهِ وعليْهِي،وعليْهُ وعليْهو،ومِنْهُ ومنْهو)وكلاهما جيد بالغ"[١].

وكان سيبويه قد عقد بابًا سمّاه "هذا باب ما تُكسر فيه الهاء التي هي علامة الإضمار[٢]"وقد وضّح فيه أحوال هاء الكناية من حيث الضم والكسر فقال: "اعلم أنّ أصلها الضم وبعدها الواو، لأنها في الكلام كله هكذا " [٣] ثم فسّر سبب كسر الهاء قائلاً: "فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياءٌ أو كسرة، لأنها خفيّة كما أنّ الياء خفيّة"[٤]،فسيبويه هنا تحدث عن هذا الشكل من أشكال المماثلة تحدثًا ينمّ عن إدراك دقيق له، وما يؤكد هذا الأمر أيضاً تعقيبه على لغة قوم من بكر بن وائل في قولهم " من أحلامِكِم و بِكِم " قائلاً: "شبهها بالهاء لأنها عَلَمُ إضمار وقد وقعت بعد الكسرة، فاتَّبَعَ الكسرة الكسرة حيث كانت حرف إضمار، وكان أخفَّ عليهم من أن يضمّ بعد أن يكسر."[٥]وبيان المسألة أنّه قد تجاور صائتان مختلفان: الصائت الإعرابي السابق (الكسرة) (أحلامِ) والصائت البنائي اللاحق (الضمة) (كُم)، أو الصائت البنائي السابق (الكسرة) (بِـ)، والصائت البنائي اللاحق (الضمة) (كُم)، فيؤثر الصائت الأول في الثاني ليقلبه إلى جنسه وصولاً إلى الانسجام الصوتي بغية التقليل من الجهد المبذول؛ لأن الانتقال من الكسر إلى الضم ثقيل، لهذا فقد لجأ الناطقون إلى المماثلة بين الصائتين ليسهل النطق ويخفّ الجهد المبذول.

وقد سمّى السيرافيّ هذه الهاء بـ(هاء الكناية)، في حين سمّاها سيبويه بـ(هاء التذكير)[٦]طورًا، و(هاء الإضمار)[٧] طورًا آخر، وقد وافقه ابن جني في كتابه (سر صناعة الإعراب) على التسمية الأخيرة [٨]، وهي عند المبرد "الإضمار الذي يلحق الواحد الغائب[٩]،وعند ابن يعيش" ضمير الغائب [١٠]". ويحددها الاستراباذي بأنها: "ضمير الغائب المفرد المذكر" [١١]، وهي كذلك عند علماء القراءات[١٢].إذن فهاء الكناية ضمير يلحق بالاسم للدلالة على المفرد الغائب للإيجاز والاختصار،إذ الأصل في الضمائر أن تكون مختصرة لأنها جاءت لضرب من الإيجاز والاختصار[١٣].

وإذا كان السيرافيّ قد أشار إلى أنّ الأصل في هاء الكناية الضمّ فإنّ سيبويه قد سبقه لهذا بقوله: "الضم وبعدها الواو؛لأنها في الكلام كله هكذا"[١٤]، فهي مضمومة لأنها في جميع أحوالها هكذا تأتي بالضم" في نصبها وخفضها

(١) **السيرافي**، ما يحتمل الشعر من الضرورة، ص١٢٥وما بعدها.
(٢) سيبوية، **الكتاب**، ١٩٥/٤.
(٣) **السابق** ١٩٥/٤.
(٤) **السابق** ١٩٥/٤.
(٥) **السابق** ١٩٧/٤
(٦) **السابق** ١٩٠/٤.
(٧) **السابق** ١٩١/٤.
(٨) ابن جني، **سر صناعة الإعراب** ٦٢٩/٢.
(٩) **المقتضب**، ٢٦٤/١.
(١٠) **شرح المفصل**، ٩٢/٣.
(١١) **شرح الشافية**،٣٠٩/٢.
(١٢) **النشر**، ٢٣٩/١، البناء، (أحمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي، ت ١١١٧هـ/١٧٠٥م) **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر**، تعليق:علي الضباع، دار الندوة، بيروت، لبنان.٣٤.
(١٣) **شرح المفصل**، ٦٢/٣.
(١٤) **الكتاب** ١٩٥/٤.

ورفعها"[١]،وقد اتفق المبرد معه على هذا حيث قال: "الأصل في هذا الضمير أن تتبع هاءه واو، فالاسم الهاء وحدها والواو تلحقها لخفاء الهاء[٢]،وعدّ ذلك مشروطًا بالوصل إذ قال: "فتوصل بها الواو إذا وصلت، فإن وقفت لم تُلحق الواو لئلا يكون الزائد كالأصلي".[٣]

وقد استدلّ الزجّاج - فيما رواه الأستراباذي عنه- بأن الصلة ليست من أصل الكلمة بحذفها في الوقف،يقول الأستراباذي: "ذهب الزجّاج إلى أن الصلة بعد الهاء ليست من أصل الكلمة، وهو ظاهر مذهب سيبويه.... وهذا الذي ذكرنا كله حال الضمير الغائب المفرد المذكر في الوصل، فإذا وقفت عليه فلا بد من ترك الصلة"[٤].كما أكد الزجّاج على أصالة الضم حين قال في ضمة الهاء من عليهِم: "فأصل الهاء فيما وصفنا أن تكون معها ضمة "[٥].وقد أشار عددٌ من العلماء القدماء إلى أصالة الضم في هاء الكناية نحو أبو علي الفارسي[٦]وابن خالويه[٧] وابن زنجلة[٨] والسيوطي[٩].

وأما سبب وجود هذه الواو فهو الإشباع كما يقول ابن جني: "وأما(هو) من نحو قولك: (رأيتهو)، و(كلّمتهو) فليس شيئًا؛ لأن هذه ضمة مشبعة في الوصل؛ ألا تراها يستهلكها الوقف"[١٠]. ويعلّل السيرافيّ مسألة زيادة الواو والياء بعد هذه الهاء من باب أنّ الهاء خفيّة، فأرادوا إبانة حركتها[١١] بهذا الاشباع، وخفاؤها متأت من همسها من حيث إنّ الهاء عندهم مهموسة[١٢]، متفقا بهذا التعليل والمبرد الذي قال به[١٣]، وقد وافقه ابن يعيش على هذا فيما بعد[١٤].وإني لأحسب أن إشباع الضمة هنا يحمل على مسألة الرغبة في بيان الصائت القصير (الضمة) بنبره نبر الطول ليصبح صائتًا طويلاً (الواو)، خاصة وأن ذاك الصائت قد وقع في نهاية المقطع، يقول أحمد مختار عمر: "من الواضح أن العلل تحتل المراكز العليا في كل من الاستمرارية، ودرجة الإسماع،مما يعطيها بروزا لسائر الأصوات.كما أنه من الواضح أن العلل القصيرة تبلغ حوالى النصف من العلل الطويلة "[١٥].

---

(١) الفرّاء، **معاني القرآن**،١/٥.

(٢) المبرد، **المقتضب** ١/٢٦٤.

(٣) **السابق** ١/٣٦، ٢٦٤.

(٤) الاسترباذي، **شرح الشافية**، ٢/ ٣٠٨و ٣٠٩ وما بعدها.

(٥) الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري ت ٣١٦هـ)، **معاني القرآن وإعرابه** تحقيق: عبد الفتاح شلبي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٣م،١/٥١.

(٦) الفارسي، (أبو علي الحسن بن أحمد، ت ٣٧٧هـ/٩٨٧م) **الحجة في علل القراءات**، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، مراجعة محمد علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣،١/٤٥.

(٧) **الحجة في القراءات السبع**،٢٦، ٣١.

(٨) **حجة القراءات**،٨١.

(٩) السيوطي، **همع الهوامع** ١٩٩٨،١/١٩٣وما بعدها،١٩٦ وما بعدها.

(١٠) ابن جني، **الخصائص** ١/٦٩.

(١١) السيرافي، **ما يحتمل الشّعر من الضرورة**، ١٢٥.

(١٢) **الكتاب**، ٤/٢٠٠.

(١٣) **المقتضب**، ١/٢٦٤.

(١٤) **شرح المفصّل**، ٣/٩٢.

(١٥) عمر، أحمد مختار، **دراسة الصوت اللغوي**، ٣٦٣ وما بعدها.

أمّا لماذا خالفوا أصل الضم في الهاء؟ لقول السيرافيّ: "إذا اتصلت بحرف مكسور كان فيها وجهان: إن شئت ضممتها وألحقتها واوًا، وإن شئت كسرتها وألحقتها ياء، كقولك:(مررت بغلامِهي، وغلامهو يا فتى)". فقد قال سيبويه في هذا الشأن قولاً ونصّ كلامه:"فالهاء تُكسر إذا كان قبلها ياءٌ أو كسرة، لأنها خفيّة كما أنّ الياء خفيّة، وهي من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة، وهي من موضع الألف وهي شبه الحروف بالياء، فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافاً كذلك كسروا هذه الهاء، وقلبوا الواو ياءً، لأنه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة. فالكسرة ههنا كالإمالة في الألف لكسرة ما قبلها، وما بعدها نحو: كِلابٍ، وعابِدٍ وذلك قولك: مررت بهي قبل، ولديهي مال، ومررت بدارهي قبل " [1].

وهذا ما ذهب إليه المبرد عينه حين قال: "فإن كان قبل هذه الهاء ياء، أو كسرة، كان الأحسن أن تبدل من ضمّتها كسرة، لاستثقالهم الضمة بعد الياء"[2]. لا بل هو رأي مَن اقتفى خطا سيبويه في تعليل مسألة كسر الهاء على هذا الأساس، على نحو مما ذهب إليه الفرّاء[3]، وأبو علي الفارسي[4]،وابن الأنباري[5]، والنحاس[6]، وابن خالويه[7]، وابن زنجلة[8]، والبنّاء[9]، والعكبري[10]، ولعلّه كان الأكثر توفيقًا في وصف هذه الحالة حين عبّر عن هذه الظاهرة بـ (التجانس الصوتي) إذ قال:"الأصل في هذه الهاء الضم....وإنما يجوز كسرها بعد الياء، نحو عليهم وأيديهم وبعد الكسر، نحو: بهِ، وبدارِه، وإنما كسرت لتجانس ما قبلها من الياء والكسرة"[11].

وعلى ما تقدم، فإننا نرى أنّ القدماء يعللون مخالفة الأصل في هذه المسألة من باب التقريب بين الأصوات الصائتة بعضها من بعض، فيما سمّاه المحدثون بالمماثلة بين الصوائت؛ إذ بهذا التقريب يتحقق الانسجام الصوتي بين الأصوات الصائتة، وتحقيق هذا الانسجام هدف يسعى إليه الناطق هروباً من الجهد العضلي الزائد المبذول أثناء النطق بالأصوات المختلفة دونما قصد منه.

لقد أدرك القدماء ذلك الثقل المتأتي من الإبقاء على ضم هاء الكناية وإشباعها بالواو على الأصل، في الوقت الذي تسبق فيه هذه الهاء بالكسرة – سواء أكانت الكسرة طويلة أم قصيرة– إذ يؤدي هذا إلى وجود التنافر الصوتي بينهما، فالكسرة صائت أمامي، والضمة صائت خلفي، مما يُنبي إلى هذا انعدام التجانس الصوتي بينهما، والذي بدوره يقود إلى ثقلٍ في النطق فكان السبيل الأنجع للهروب من هذا الثقل هو إبدال الواو ياء لمجانسة الكسر الذي قبلها للحصول على تناسق صوتي يؤدي إلى تقليل الجهد المبذول أثناء النطق.

---

(١) **الكتاب** ٤/١٩٥.

(٢) **المقتضب**، ١//٢٦٤.

(٣) الفرّاء، **معاني القرآن**، ١/٥.

(٤) **الحجّة في علل القراءات**،١/٦٢.

(٥) **البيان** ٣٩.

(٦) النحّاس،**إعراب القرآن**، ١/١٢٤ وانظر: **إعراب ثلاثين سورة**،٢٠٦.

(٧) **الحجة في القراءات السبع**، ٢١.

(٨) ابن زنجلة، **الحجة**، ٨٣.

(٩) **الإتحاف**، ١٢٤.

(١٠) العكبري،(أبو البقاء عبد الله بن الحسين، ت ٦١٦هـ/١٢١٩م) **التبيان في إعراب القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي،١/١١.

(١١) **السابق** ١/١١.

ويَفترض القدماء لهذه التبدلات مراحل متتابعة مرّت بها الصوائت حتى وصلت إلى هذا التجانس الصوتي الذي انتهت إليه وهي: أولاً: مرحلة الأصل: أن تقوى الهاء بالواو وصورتها هي:

علي + ــه + و ، بـِ + ــه +و

فهذا هو الأصل كما ذهب إلى ذلك السيرافيّ"[١] وغيره من القدماء.

ثانيًا: مرحلة تحريك هاء الكناية بالكسر طلبًا للمجانسة مع الياء، أو الكسرة السابقة للهاء، مع وجود الواو التي زيدت للتقوية. علي + ــهِ + و ، بــ + ــهِ +و

يقول القيسي: "فحجة من وصل الهاء بياء إذا كان قبلها ياء، وهو ابن كثير، أنه كسر الهاء للياء التي قبلها لخفاء الهاء "[٢] وهي بنظري مرحلة غير موجودة، ولعلّ ما دعا القدماء إلى هذا القول أنهم اعتمدوا الخط لا اللفظ، حين قال بعضهم:" فلّما كسرها – ويقصد ابن كثير – أبدل من الواو التي زيدت لتقوية الهاء ياءً "[٣].

المرحلة النهائية: علي + ــه + ي ، بـِ + ــهِ

وهي المرحلة التي تصل إليها الصوائت إلى التجانس. والمماثلة هنا تقدميّة غير مباشرة – وإن اعتبروا الهاء صوتًا غير حصين – إذ اتجه التأثير من الصائت السابق (الكسر الموجود ما قبل هاء الكناية) إلى الصائت اللاحق الموجود بعد هاء الكناية وهو الضمة،ليقلبه إلى صائت يجانسه (الياء). و"إنما كسرت لتجانس ما قبلها من الياء والكسرة"[٤].

(٤)
كراهية توالي الأمثال

عرفت العربية المخالفة بين الأصوات قانونا يغاير قانون المماثلة من حيث الاتجاه الذي يسير به، فإذا كان قانون المماثلة يعني: أن يتأثر الصوت بالصوت الذي يجاوره سواء أكان هذا الصوت لاحقًا له أم سابقًا، وذلك بأن يجعله مثله أو قريبًا منه في المخرج والصفة أو في إحداهما؛ سعيًا لتحقيق التجانس الصوتي للأصوات في بنية الكلمات، ورغبة في تقليل الجهد العضلي المبذول أثناء الكلام؛فإنّ قانون المخالفة يسعى للهدف ذاته، لكنه يعني: أن يتأثر الصوت بالصوت الذي يجاوره سواء أكان هذا الصوت لاحقًا له أم سابقا، وذلك بأن يجعله مختلفا عنه في المخرج والصفة في معظم الحالات، إن لم تكن في جميعها.

فالمخالفة تعني عند علماء اللغة المحدثين:تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام أو تغييره إلى صوت مخالف؛ ليغاير صوتا مجاورًا له بتأثير من الصوت المُؤثِر؛أي أنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين؛ رغبة في تيسير النطق[٥]، ويغلب أن يكون الصوت المخالف حركة طويلة، أو أحد الأصوات المائعة؛"

(١) **ما يحتمل الشّعر من الضرورة**،١٢٥.

(٢) القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق: محيي الدين رمضان، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧،١/٤٢.

(٣) **السابق** ٤٢/١.

(٤) العكبري، **التبيان**، ١١/١.

(٥) **التطور اللغوي**،٣٧. وافي، علي عبدالواحد، **علم اللغة**، ٢٩٩وما بعدها، عمر،أحمد مختار، **دراسة الصوت اللغوي**،٣٢٩وما بعدها، الخولي، **الأصوات اللغوية**،٢٢١وما بعدها.

وذلك لسهولة نطق هذه الأصوات، وقابليتها بأن تحلّ محلّ أي صوت آخر"[١]. وهي ظاهرة معروفة في كلّ اللغات السامية، وفي معظم اللغات الأخرى[٢].

وعليه؛ فإنّ المخالفة تعمل على تحقيق التوازن مع المماثلة من حيث إن المماثلة تعمل على تقليل الفروق بين الأصوات المتجاورة في محاولة لإعادة الخلافات الصوتية التي لا غنى عنها،في حين تعمل المخالفة على زيادة هذه الفروق، وإن كانت الأخيرة تحدث بصورة أقل من حدوث الأولى؛ إلا أنها ضرورية لتحقيق التوازن، ولإبراز الفونيمات في صورة أكثر استقلاليّة[٣].

وكان العلماء القدماء قد وقفوا عند هذه الظاهرة وضربوا لها من الأمثلة ما يحسن معه الاعتقاد به أنهم قد توصلوا إلى حقيقة المخالفة،وقد أشاروا إلى هدفها بعد أن لاحظوا ما تُحدثه الأصوات المضعّفة من جهد عضلي زائد أثناء نطقها، بيد أنهم أطلقوا عليها تسميات أخرى نحو: كراهية التضعيف، وكراهية اجتماع المثلين، والأمثال إذا ثقلت لتكريرها، وغيرها.وإن كنت أرى أن المصطلح الحديث(المخالفة) قد ظهر في كتبهم،من مثل حديث ابن جني عن: (القول، والغير، والغيبة، والطّول، والعوض) لمَ جاءت بالياء بعد الضمة، وبالواو بعد الكسرة، ونصّه:"إنه إنما جاز ذلك من قبل أن الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة،فلحقتا بالحروف الصحاح فجازت مخالفة ما قبلها من الحركات إياهما"[٤].

وقد تحدث سيبويه عن هذه الظاهرة الصوتية تحت باب "ما شذّ،فأُبدل مكان اللام الياء،لكراهية التضعيف، وليس بمطرد"[٥].لا بل تحدّث عن علّتها قائلا: "اعلم أنّ التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد"[٦].ولهذا يقول المبرد: "قوم من العرب إذا وقع التضعيف أبدلوا من الياء الثاني لئلا يلتقي حرفان من جنس واحد"[٧].وهو أمر كما يقول ابن جني عدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف"[٨]. وعلته "أنه أمر يَعرض للأمثال إذا ثقلت لتكريرها،فيترك الحرف إلى ما هو أثقل منه ليختلف اللفظان فيخفّا على اللسان"[٩].

أما السيرافيّ فقد تعرّض لهذه الظاهرة وهو يفسّر أمر ترخيم العجّاج للفظة (الحمام) من قوله (الرجز) [١٠]:

قَواطِنًا مَكّةَ مِن وِرْقِ الْحَمِي

وهو يريد الحمام، فخرّجها السيرافيّ بثلاثة وجوه، منها – وهو شاهدنا في هذه المسألة– الوجه الثاني: "أن يكون حذف الألف فبقيَ (الحمَمَ) فأبدل من الميم الثانية ياء استثقالا للتّضعيف كما قالوا في: (تظنّنت): (تظنّيت)، وفي

(١) مرعي، **المصطلح الصوتي**، ١٣٩. وانظر، أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، ٢١١.

(٢) بروكلمان، **فقه اللغات السامية**،٧٤.

(٣) عمر، أحمد مختار، **دراسة الصوت اللغوي**، ٣٢٩. الخولي، **الأصوات اللغوية**،٢٢١.

(٤) **سرّ صناعة الإعراب**، ١٩/١وما بعدها.

(٥) **الكتاب** ٤٢٤/٤. وانظر قول الزجاج في هذه الظاهرة: **معاني القرآن وإعرابه** ٣٣٢/٥.

(٦) **السابق** ٤١٧/٤

(٧) **المقتضب** ٢٤٦/١.

(٨) **الخصائص** ١٨/٣.

(٩) **السابق** ١٨/٣.

(١٠) أورد المحقق رواية أخرى للفظة (قَواطِنًا) وهي (أَوالفًا)، **ما يحتمل الشّعر من الضرورة**،١٠٦وقد وردت في الكتاب مرّة (قَواطِنًا) **الكتاب** ٢٦/١، ومرّة (أَوالفًا) ١١٠/١. انظر **الديوان**، ٢٩٥.

(أمّا): (أيما)" [١].ونحوه قوله:(تظنّيت وتقظّيت) في معنى:تقضّضت وتظنّنت، أبدلوا ياء من الحرف الأخير لما كرهوا التضعيف" [٢].فالسيرافيّ يعلل مسألة المخالفة بين الصوتين المتماثلين من باب قانون السهولة والتيسير أثناء النطق.

بيد أنّ مما تجدر الإشارة إليه أن السيرافيّ اعتمد بهذا المثال على ما قاله سيبويه في باب "ما شذّ فأُبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف،وليس بمطّرد"، ونصّه: "وذلك قولك: تسرّيت وتظنّيت وتقصّيت من القصّ وأمليت"[٣]. كما أنّ المبرد كان قد تعرض للمثال الثاني الذي ذكره السيرافيّ من قبل في الموطن الذي تحدّث فيه عن هذه الظاهرة وعلّتها، إذ يقول: "ومن ذلك قولهم في (تقضّضت):(تقضّيت) "[٤]؛علتهم في ذلك الإبدال "استثقال التضعيف"[٥].

(٥)
تسهيل الهمزة

الهمزة وقفة حنجرية لها ملامح صوتية تميزها من غيرها من الأصوات الصامتة والصائتة، من حيث إنها صوت حنجري انفجاري، يتم نطقها بإقفال الأوتار الصوتية إقفالاً تامًا أمام الهواء الخارج لحبسه مدة من الزمن ثم إطلاقه فجأة محدثًا هذا الصوت الانفجاري [٦]. وهي عملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير، فهي لهذا صوت شديد مستثقل قد استثقل النطق به إذ كان إخراجه كالهوع[٧]، ويقول سيبويه عن سبب تخفيفها: "إنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد وهي أبعد الحروف مخرجا فثقل عليهم ذلك، لأنه كالتهوّع"[٨]؛ وعليه، فقد كان نطق الهمزة دون تخفيف ضربا من التكلّف واحتمال الصعوبة[٩].

ولأجل هذه الصعوبة في نطق الهمزة فقد اعتراها في النطق العربي – قديمًا وحديثًا – جملة من التغيرات الصوتية كـ: (الإبدال والحذف والتسهيل) وغيرها مما هو موجود في كتب الصرف والقراءات[١٠]، وعلّة ذلك كلّه استثقالهم لها[١١]، لا بل إن هذه التغييرات الصوتية – كما يرى بروكلمان – لها أصل في اللغات السامية

(١) **ما يحتمل الشّعر من الضرورة**، ١٠٧.

(٢) انظر **الديوان** ٢٩٥، و**الكتاب** ٨،٦٥/١.

(٣) **الكتاب** ٤٢٤/٤.

(٤) **المقتضب** ٢٤٦/١.

(٥) **السابق** ٢٤٦/١.

(٦) الأنطاكي، **المحيط في الأصوات**،١/ ٨٤. السعران، **علم اللغة**، ١٧ وما بعدها، بشر، **علم اللغة العام**، ١١٢، أنيس، **الأصوات اللغوية**،٨٩ وما بعدها. برجستراسر، **التطوّر النحوي**، ٤٢.

(٧) **العين** ٥٢/١.

(٨) **الكتاب** ٥٤٨/٣.

(*) التهوّع: تكلف القيء.

(٩) **سرّ صناعة الإعراب** ٦٩/١ وما بعدها.

(١٠) **الكتاب** ٥٤١/٣، **سرّ صناعة الإعراب** ٦٩/١، **الإتقان** ٢٧٧/١، **الممتع في التصريف** ٤٠٤.

(١١) **شرح الشافية** ٣١/٣. **الكشف** ٧٢/١، **الرعاية** ١٤٥.

كالبابلية والآشورية التي تميل إلى ترك الهمزة إذا جاءت مسبوقة بصائت، والتعويض عنها بمد الصائت قبلها[١]. وعلى ما تقدّم؛ فقد رأى بعض علماء اللغة المحدثين أن ظاهرة الخلاص من الهمزة يعد مظهراً من مظاهر قانون الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول[٢].

وقد أشار السيرافيّ إشارة عابرة إلى أنّ ترك الهمز لغة من لغات العرب إلا أنّه لم يحدد قبائل هذه اللغة كما فعل غيره من العلماء[٣]،وتكاد تجمع كتب العربية على أن تحقيق الهمزة من لهجات قبائل البادية:تميم وقيس وبني أسد ومن جاورها؛ أي قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقها، وأن تسهيلها لهجة أهل الحضر الحجاز وخاصّة قريش في مكة والأوس والخزرج في المدينة[٤]؛إذ إنهم يسقطون الهمزة التي لا تناسب نبرهم[٥]، وقد لجأوا إلى أن يعوّضوا موقعها بوساطة نبر الطول، محققين بذلك هدفين: أولهما: نبر[٦] المقطع ذاته بطول الحركة. ثانيهما: الاحتفاظ بالإيقاع المقطعي، أعني زنة الكلمة كما لو كانت مهموزة، إذ تذهب الهمزة مخلفة عنها طول الحركة السابقة عليها[٧].كما علل مهدي المخزومي تحقيق الهمز عند القبائل البدوية، وتسهيله عند الحضريّة من باب أنّ في إثبات الهمز رنّة قويّة في الأذن، مما يلائم طباع البدو وخشونتهم[٨].

وأما طرائق تخفيف الهمزة وأحكامها فهي طرائق محددة واضحة مسالكها في كتب العربية[٩]. وليس هاهنا مجال عرضها، بل سنتوقف عند الأحكام التي تعرّض لها السيرافيّ في كتابه (ما يحتمل الشعر من الضرورة) فقط، ومن ذلك قوله في: "قول الفرزدق(الكامل):

راحَتْ بمَسْلَمَةَ البِغالُ عَشِيَّةً فارْعَيْ فَزارَةُ لاهَناكِ المرتَعُ

أراد: (لاهنأك المرتعُ)، فقلب الهمزة ألفا "[١٠]في هذا الشاهد الشعريّ. ومن الأمثلة على تخفيف الهمزة قول السيرافيّ أيضا: ومثلُهُ من (الطويل):

ولا يَرْهَبُ ابْنُ العمِّ ما عِشْتُ صَوْلَتي وَلا أَخْتَتي مَنْ صَوْلَةِ المُتَهَدِّدِ

"أراد: (ولا أَخْتَتِئُ)،فقلب من الهمزة ياء"[١١].في هذا الشاهد الشعريّ؛ لأنّ حكم الهمزة المتحركة "إذا كان ما قبلها فتحة،أو كانت مضمومة وقبلها كسرة فإنّ تليينها أن تجعل بَيْنَ بَيْنَ، ولا تبطل حركتُها"[١٢].

---

(١) **فقه اللغات السامية**، ٤١.

(٢) **التطور اللغوي**،٤٧ وما بعدها. وانظر، **في اللهجات العربيّة**، ٧٧.

(٣) **ما يحتمل الشّعر من الضرورة**،١٦٣

(٤) أنيس، **في اللهجات العربية**، ٧٨.

(٥) شاهين، عبد الصبور، **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، ١٠٩.

* يعرف علماء اللغة المحدثون النبر بأنه وضوح نسبي لصوت أو مقطع؛ إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، وعند النطق بالمقطع المنبور تنشط أعضاء النطق غاية النشاط. عبده، داود، **دراسات في علم الأصوات العربية**، مؤسسة الصباح، الكويت، ١٩٧٩،١٠٤، أنيس، **الأصوات اللغوية**، ١٦٩،حسّان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ١٧٠.

(٦) القيسي،**التبصرة في القراءات**، تحقيق: محيي الدين رمضان، ط١، المنظمة العربية للتربية والثقافة، الكويت، ١٩٨٥،٩٢.

(٧) شاهين، عبد الصبور، **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، ١٠٩. المطلبي، **في الأصوات اللغوية**،١٨١.

(٨) المخزومي، **مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو**، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٥٨،١٨٠ وما بعدها.

(٩) **الكتاب** ٥٤١/٣ وما بعدها. **المقتضب** ١٥٥/١. **شرح المفصل** ١١٢/٩.**شرح الشافية**،٤٧/٣.**سر صناعة الإعراب** ٤٨/١.

(١٠) **ما يحتمل الشّعر من الضرورة** ،١٦٠

(١١) **السابق**،١٦١

(١٢) **السابق**،١٦١

فما الذي قصده السيرافيّ بقوله: بتلينها (بَيْنَ بَيْنَ).وقد كان سيبويه قد قال بهذا القول حين قال في الهمزة المفتوحة المسبوقة بفتحة: "اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محققة، غير أنك تضعّف الصوت ولا تتمه وتُخفي؛ لأنك تقرّبها من هذه الألف وذلك قولك: (سَأَل) في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم، وقد قُرأ قبل (بين بين)"(١).

ولكن ما الذي قصده علماء اللغة القدماء بـ "همزة بين بين"؟ ثمّ يُبنى إلى هذا السؤال استفسار آخر عن ماهيتها؛ إذ بتفسيرها نقف على حقائق علمية هامّة. فمما تجدر الإشارة إليه أنّ سيبويه لم يشر إلى كيفية نطقها من قبل، إلاّ أنّ ابن جني قد قال في سرّ صناعة الإعراب: "أما الهمزة المخففة فهي التي تسمى همزة بَيْنَ بَيْنَ- ومعنى قول سيبويه "بَيْنَ بَيْنَ" أي هي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها، إن كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء، وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو إلا أنها ليس لها تمكن الهمزة المحققة، وهي مع ما ذكرنا من أمرها في ضعفها وقلّة تمكنها بزنة المحققة، ولا تقع الهمزة المخففة أولاً أبدًا لقربها بالضعف من الساكن"(٢).

أما علماء اللغة المحدثون فقد بحثوا في هذه المسألة، ووقفوا عند هذه التسمية، رافضا بعضهم هذه التسمية إذ قال: "ليس من الصواب: أن يُقال هذه همزة مسهلة، أو هذه بين بين؛ إذ لا وجود في الواقع للهمزة في هذه الحالات، حيث إن وضع الحنجرة قد تغيّر إلى وضع آخر غير وضع الهمزة"(٣)، إذ:"تصير في النطق مجرد خفقة صدريّة لا يّصاحبها إقفال للأوتار الصوتيّة"(٤)؛ أي إنّ الذي نسمعه حينئذ لا يمت إلى الهمزة بصلة بل هو صوت لين قصير يسمى عادة حركة الهمزة من فتحة أو ضمة أو كسرة"(٥)، ويتشكل من إسقاط الهمزة مع الإبقاء على حركتها"(٦).

وبناء على ما سبق من تعريف لهمزة (بين بين) أقول: لقد سقطت الهمزة تاركة وراءها حركتها (الصائت القصير التابع لها) مما أدى إلى أن يلتقي في البنية المتوسطة صائتان: الصائت السابق للهمزة قبل سقوطها والصائت اللاحق للهمزة بعد سقوطها. فتشكل عن ذلك:

١- الصائت الوسطي الواسع (الألف) من التقاء الفتحة بالفتحة في(لاهنَأَك) بعد سقوط الهمزة لتصبح(لاهَناكِ)، ورحم الله ابن الحاجب إذ قال: "تبدل الهمزة المفتوحة ألفًا إذا انفتح ما قبلها مثل سال"(٧) ولم يعبّر عنها بالتسهيل بين بين.

٢- أشباه الصوائت (الواو) من التقاء الفتحة بالضمة و(الياء) من التقاء الفتحة بالكسرة. ويعقّب عبد الصبور شاهين قائلا: "ونضيف هنا أنّ (بين بين) يعني في الواقع سقوط الهمزة أساسًا، واتصال الحركتين قبلها وبعدها مباشرة، إذ يتكون لدينا المزدوج بالمعنى الكامل، وفي هذه الصورة للمزدوج يضعف وجود الانزلاق الذي

(١) **الكتاب** ٣/٥٤١ وما بعدها.

(٢) **سر صناعة الإعراب** ١/٤٨. وانظر **الرعاية** ١١٠ وما بعدها.

(٣) شاهين، عبد الصبور **أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي**، ١٦٨.

(٤) حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ٥٣.

(٥) أنيس، **الأصوات اللغوية**، ٧٨ وما بعدها.

(٦) استيتيه، الظواهر الصوتية في قراءة يعقوب الحضرمي، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، العدد٤٧،١٩٩٤. ٧٢.

ح **الشافية** ٣/٤٧.

تنشأ عنه أنصاف الحركات (الواو والياء)"(١). وقد جاء في الكتاب: "اعلم أن كل همزة كانت مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور فإنك تُبدل مكانها ياء في التخفيف وذلك قولك في المِئَر، مِيَر، وفي يريد أن يُقْرِئَك يُقْرِيَك، ومن ذلك: من غلامِ يَبِيك، إذا أردت من غلامِ أبيك(٢).

وقد عزا بعض العلماء المحدثين سقوط الهمزة هاهنا إلى قانون صوتي أطلق عليه قانون الوقوع بين صوتي مدّ (Intervocalic Position) (الموقعيّة بين علتين) إذ إنّ موقعًا من هذا القبيل قد يؤدي بالصامت إلى الاضمحلال أو الضعف أو الانحراف عن مخرجه، وقد لوحظ أنّ معظم الأصوات التي تخضع لتأثيرات هذا القانون من تلك الطائفة من الأصوات التي أطلقنا عليها مصطلح الأصوات الانفجاريّة، ومنها صوت الهمز هذا(٣)، وقد علّل غالب المطلبي هذه المسألة قائلا: "لعلّ ذلك كان بسبب من أنّ الصوت الانفجاري هو صوت يكاد يكون الضد الرئيس لصوت المدّ، إذ إنه يتم بحبس الهواء حبسًا تامًا ثم إطلاقه على هيأة انفجار، في حين أن أصوات المدّ تعتمد في حدوثها على حريّة خروج الهواء وعدم وجود أثر للاحتكاك، ومن أجل هذا التناقض في طبيعة الأصوات تحاول أصوات المدّ أن تقلل من حدّة هذا الانفجار أو تلغيه إلغاءً تامًا"(٤).

وإذا كان السيرافيّ قد ذهب في الهمزة المتحركة بالضمّ وقبلها كسرة مذهب تليينها بأن تجعل بَيْنَ بَيْنَ، فهو لم يوضّح تماما حكمها،فهل حكمها أن تجعل بين الهمزة والصائت الطويل الذي هو من جنس حركتها أم من جنس حركة ما قبلها، فمذهب سيبويه أنّ الهمزة المكسورة والمضمومة إذا تحرك ما قبلها بأي حركة كانت أو كان ألفاً، فإنهما يجعلان في التخفيف بين بين، المكسورة بين الهمزة المكسورة والياء الساكنة،والمضمومة بين الهمزة المضمومة والواو الساكنة(٥). وأما مذهب الأخفش(ت٢٢١هـ) فهو غير ذلك من حيث هو يرى أنّ "المكسورة التي قبلها ضمة أنها تجعل بين الهمزة والواو نحو "ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا"(٦) ويلزم من فعل هذا أن يجعل المضمومة التي قبلها كسرة بين الهمزة والياء نحو "يستهزون" وذلك غير مستعمل عند سيبويه وهو مذهب الأخفش"(٧). وإن كان تفسير السيرافيّ للمثال السابق ونصّه" أراد: (ولا أَخْتَتِئُ)، فقلب من الهمزة ياء" يشير إلى أنّ الهمزة قد تأثرت بالحركة السابقة للهمزة لا بحركتها.

ولعل ما يؤيد مذهب الأخفش ما قاله غير ما باحث في قضيّة تشكل أشباه الصوائت (الواو والياء)،إذ خرجوا بنتيجة مفادها:أن الياء تتكون حين "تتخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق نوع من الكسرة، تاركة هذا الوضع إلى حركة أخرى بسرعة ملحوظة، أما الواو، فتتخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنوع من الضمة ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى حركة أخرى وتنضم الشفتان"(٨) وبناء عليه فإنّ مذهب سيبويه – لا يرقى إلى الدقة التي وصل إليها مذهب الأخفش في هذه المسألة ويمكن تمثيل ذلك بما يلي:

المرحلة الأولى: البنية العميقة: همزة مضمومة مسبوقة بكسر (أَخْتَتِئُ).

(١) شاهين، عبد الصبور، **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، ١٠٥.

(٢) **الكتاب** ٥٤٣/٣.

(٣) ماريوباي، **أسس علم اللغة**، ترجمة أحمد مختار عمر، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣، ١٤٣،وانظر المطلبي، **في الأصوات اللغوية**،١٨٠.

(٤) المطلبي، **في الأصوات اللغوية**، ١٨٠.

(٥) **الكتاب** ٥٤٢/٣.

(٦) **سورة البقرة** ٢٨٢.

(٧) **الكشف** ١٠٥/١ وما بعدها.

(٨) السعران، **علم اللغة**، ١٨٠، بشر، **علم اللغة العام**، ١٣٣.

المرحلة الثانية: البنية قبل الفوقيّة: اسقاط الهمزة مع الإبقاء على حركتها أَخْتَتِ ُ).

المرحلة الثالثة: البنية الفوقيّة: إنتاج شبه الصائت (الياء) (أَخْتَتي).

ويعقب عبد الصبور شاهين في هذا المجال قائلا: "من المؤكد أنّ الانزلاق بين الحركتين في حالة (بين بين) أقل ظهورا منه في حالة القلب الكامل"(١) أي في حال الإبدال التام.

(١) شاهين، عبد الصبور، **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، ١٠٦.